جامعة الخليل

عمادة الدّراسات العليا

برنامج اللّغة العربيّة وآدابها

نماذج من الخطب والوصايا في العصر الجاهلي

(دراسة بلاغية تحليلية)

إعداد الطّالبة

سماح محمد سمير الجعبة

إشراف الدّكتور

بسام عبد العفو القواسمي

قدّمت هذه الرّسالة استكمالًا لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها

من جامعة الخليل

الفصل الدراسي الثاني

2022-2021 م

الإهداء

إلى مَن شجّعاني على إكمال المسير دومًا "أمي وأبي"

إلى سندي في الحياة "إخواني"

إلى أغلى النّاس على قلبي "زوجي"

إلى أهل زوجي الأعزّاء

إلى خليلتي "عبير طهبوب"

إلى كلِّ مَن تذوّقَ حلاوة النّصّ الجاهليّ وبلاغته

إلى مَن تاقت روحُه إلى عذوبة الكلام ورونقه

إلى مَن يجدُ راحةً لوصايا العرب وخُطبه

.

أُهدي هذا العمل

الشّكر والتّقدير

أشكر كلّ من سهّل القيام بهذه الرّسالة . .

وعلى رأسهم أستاذي الدّكتور القدير: بسام القواسمي

على ما أعطى وأفاد

ولم يبخل بالنّصح والإرشاد

المحتويات

الإهداء..... **ب**

الشكر والتّقدير..... **ت**

الملخّص..... **خ**

الملخص باللغة الإنجليزية (summary)..... **ر**

المقدّمة..... **1**

تمهيد: الخطابة والوصايا في العصر الجاهلي **4**

أولا: معنى الخطابة في اللغة.....5

ثانيًا: معنى الخطابة في الاصطلاح 5

ثالثًا: معنى الوصية في اللغة 6

رابعًا: معنى الوصيّة في الاصطلاح 6

خامسًا: بين الخطبة والوصيّة 7

سادسًا: أنواع الخطب في العصر الجاهلي 7

سابعًا: مكانة الخطيب في العصر الجاهلي 8

ثامنًا: أشهر الخطباء الجاهليين 8

تاسعًا: خصائص الخطابة في العصر الجاهلي 9

عاشرًا: نبذة عن بعض خطباء العصر الجاهليّ 10

أ- أكثم بن صيفي 10

ب-هاشم بن عبد مناف 10

ت-هانئ بن قبيصة الشيباني 11

ث-أبو طالب 11

ج- قس بن ساعدة 11

ح- نفيل بن عبد العزى 12

خ- ذو الإصبع العدوانيّ 12

د- أمامة بنت الحارث 12

ذ- زهير بن جناب الكلبي 12

الفصل الأول: تحليل نماذج من خطب العصر الجاهليّ 13

النص الأول: خطبة أكثم بن صيفي..... 15

النص الثاني: خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة..... 21

النص الثالث: خطبة المأمون الحارثي..... 27

النص الرابع: منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية..... 31

النص الخامس: خطبة هانئ بن قبيصة الشيباني..... 34

النص السادس: خطبة أبي طالب في زواج الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالسيدة خديجة. 38

النص السابع: خطبة قس بن ساعدة الإيادي..... 42

الفصل الثاني: تحليل نماذج من وصايا العصر الجاهليّ 49

النص الأول: وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس..... 51

النص الثاني: وصية أكثم بن صيفي لطيء..... 61

النص الثالث: وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد..... 67

النص الرابع: وصية زهير بن جناب الكلبي..... 72

النص الخامس: وصية حصن بن حذيفة لبنيه..... 75

الخاتمة..... 81

الملاحق 83

الفهارس.....93

أولا: المصادر والمراجع..... 94

ثانيًا: الآيات القرآنية..... 103

ثالثًا: الأبيات الشعرية..... 105

المُلَخَّص

نماذج من الخطب والوصايا في العصر الجاهليّ (دراسة بلاغيّة تحليليّة)

سماح محمد سمير الجعبة

إشراف: د. بسام عبد العفو القواسمي

تهدف هذه الرسالة إلى تحليل نماذج من الخطب والوصايا في العصر الجاهلي (دراسة بلاغية تحليليّة)، وكانت هذه الخطب والوصايا جديرة بالدّراسة، وقد اخترت سبع خطب وخمس وصايا، لخطباء مختلفين، متبعة المنهج الوصفي التحليلي.

وقسّمت الدّراسة إلى تمهيد وفصلين، فدرس التّمهيد الخطابة والوصايا في العصر الجاهليّ، أمّا الفصل الأوّل فكان بعنوان: تحليل نماذج من الخطب في العصر الجاهليّ، مطبقًا على سبع خطب وهي: خطبة أكثم بن صيفي، وخطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة، وخطبة المأمون الحارثي، ومنافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية، وخطبة هانئ بن قبيصة الشيباني، وخطبة أبي طالب في زواج الرسول –صلى الله عليه وسلم– وخطبة قس بن ساعدة.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان: تحليل نماذج من الوصايا في العصر الجاهلي، مطبقا على خمس وصايا، وهي: وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس، ووصية أكثم بن صيفي لطيء، ووصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد، ووصية زهير بن جناب الكلبي، ووصية حصن بن حذيفة لبنيه.

وتلاها خاتمة أجملت أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم الملحقات التي حوت نصوص الخطب والوصايا كاملة، ثمّ ختمت بفهارس المصادر والمراجع، والآيات القرآنية، والأبيات الشعرية الواردة في البحث.

Summary

Examples of speeches and commandments in the pre-Islamic era

(a rhetorical analytical study)

Samah Muhammad Sameer Al-Jubeh

Supervision: Dr. Bassam Abd Alafou Al Qawasmy

This thesis aims to analyze examples of speeches and wills in the pre-Islamic era (a rhetorical and analytical study), and these speeches and commandments are worthy of study, and I have chosen seven speeches and five wills, by different preachers, following the descriptive analytical approach

The study was divided into a preface and two chapters. The introduction studied rhetoric and commandments in the pre-Islamic era. The first chapter was entitled: Analysis of examples of speeches in the pre-Islamic era, applied to seven speeches, namely: The sermon of Aktham bin Saifi, the sermon of Hashem bin Abd Manaf in Quraysh and Khuza'a, the sermon of Al-Mamoun Al-Harithi, the repulsion sermon of Abdul Muttalib bin Hashim and Harb bin Umayya, the sermon of Hani bin Qabisa Al-Shaibani, and the sermon of Abi Talib in the marriage of the Prophet - peace be upon him - and the sermon of Qos bin Saeda.

As for the second chapter, it was entitled: Analysis of samples of the wills in the pre-Islamic era, applied to five commandments, which are: the commandment of Umamah bint Al-Harith to her daughter Umm Iyas, the commandment of Aktham bin Saifi Lati', the will of Thelesba' Alodwani to his son osayd, the commandment of Zuhair bin Janab al-Kalbi, and the commandment of Hisn bin Hudhaifa to his sons.

It was followed by a conclusion summarizing the most important results that it reached, then the appendices that contained the texts of the speeches and commandments in full, and then concluded with indexes of sources and references, Quranic verses, and poetic verses contained in the research.

.

المقدّمة

إنّ الحمدَ لله نحمدهُ ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا مَن يهدي الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، وبعدُ..

فبمدادِ العلمِ أكتب كلماتي مستعينةً بالله وهو اعتمادي، وعليه اتكالي واستنادي، فهذه دُرّتي حلّيتها بعذب الكلام وحسن الإبانة عن المرام، ففيها الأساليب المتينة والمعاني الرصينة كانت حُلًى عليها من عبقِ الجمال ما فيها، فازدانت بهاء إلى بهاء، ولم تترك للفهم وقبوله أيَّ عناء.

ولما كان العرب من أكثر الناس إعرابا وإفصاحا عمّا في نفوسهم وحازوا قصب السبق في مقارعة أسنة البلاغة في ميادينها كان الاسلوب الخطابي والوصية قد آتيا ينعهما ونضَج في باقة جميلة تسرُّ الناظرين أتت أهمّيتها في كونها تُوصل الافكار في حسن العبارة وألفاظ قِصار ، حتى تأخذ الحليمَ ولبَّه بعد أن حار، وأُحيطت الفكرة بأساليب أقلّ ما يقال فيها: إنّها أنوار ، فزخرت وصايا العرب وخطبهم برونق الكلام، واستبرقت الهمم وانطلقت في أعلى درجات الهيام، فإذا رُمتُ الدرَّ المنثور، والخير المسطور، ألِفته في تلك الوصايا وتلك الخطب، بأبهى حُلّة وأنقى عبارة.

فتتناول هذه الدّراسة نماذج من الخطب والوصايا في العصر الجاهلي (دراسة بلاغية تحليلية)، وقسّمت الدّراسة إلى تمهيد وفصلين، أمّا التّمهيد فدرس الخطابة والوصايا في العصر الجاهليّ، مقسّمًا إلى تسعة عناوين هي: معنى الخطابة في اللغة، ومعنى الخطابة في الاصطلاح، ومعنى الوصية في اللغة، ومعنى الوصية في الاصطلاح، وبين الخطبة والوصية، وأنواع الخطب في العصر الجاهلي، ومكانة الخطيب في العصر الجاهلي، وأشهر الخطباء الجاهليين، وخصائص الخطابة في العصر الجاهليّ، ونبذة عن بعض خطباء العصر الجاهليّ.

أمّا الفصل الأوّل فقد وسمته بتحليل نماذج من الخطب في العصر الجاهليّ، مطبقًا على سبع خطب لخطباء مختلفين، وهي: خطبة أكثم بن صيفي، وخطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة، وخطبة المأمون الحارثي، ومنافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية، وخطبة هانئ بن قبيصة الشيباني، وخطبة أبي طالب في زواج الرسول –صلى الله عليه وسلم– وخطبة قس بن ساعدة.

وكان الفصل الثّاني بعنوان: تحليل نماذج من الوصايا في العصر الجاهليّ، مطبّقًا على خمس وصايا لخمسة خطباء مختلفين، وهي: وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس، ووصية أكثم بن صيفي لطيء، ووصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد، ووصية زهير بن جناب الكلبي، ووصية حصن بن حذيفة لبنيه.

وكان هذا التقسيم لبيان ما في تلك الخطب والوصايا من صور بلاغية، وتحليلها تحليلا شاملًا، والوقوف على الجماليّات الواردة فيها، واختيار الخطب والخطباء والوصايا جاء على سبيل المثال لا الحصر، وقد ارتأيت أنّ هذه الخطب والوصايا تمثّل مادة البلاغة بشكل كافٍ.

وأُتبعت هذه الدّراسة بخاتمة أجملت أهمّ النّتائج الّتي توصّلتُ إليها، ثمّ ألحقتها بفهرس المصادر والمراجع، والآيات القرآنيّة، والأبيات الشّعريّة.

وقد سلكت الدّراسة المنهج الوصفي التحليلي، فالمنهج الوصفيّ في عرض المادّة النّظريّة، والتحليلي في تحليل الخطب والوصايا.

وقد تعرض بعض الباحثين لجزئيات من مادة هذه الدراسة، مثل: الوصايا الاجتماعية في العصر الجاهليّ (دراسة أدبية)، لنورة عبيد عباس، وهي تتناول الوصايا الاجتماعيّة فحسب، دون التطرق إلى باقي الوصايا، وهناك دراسة أخرى بعنوان: آليات الحجاج البلاغي لوصايا الحكماء في العصر الجاهلي: مقاربة تداولية لعلاء الدين الغرايبة، وبحثه مختص بالكشف عن الحجاج البلاغيّ في وصايا الحكماء فقط. ويوجد

غيرها من الدراسات التي تدرس جزئية معينة من هذا البحث أو تدرس موضوعا بشكل عام، لكنّ دراسة الخطب والوصايا في العصر الجاهليّ دراسة بلاغية تحليلية لم تُدرس من قبل.

وقد عوّلتُ على العديد من المصادر والمراجع لإتمام هذه الدّراسة، فكان أهمّها: جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة، لأحمد زكي صفوت، وهذا الكتاب هو الّذي استقيتُ منه نصوص الخطب والوصايا، ولم أحتج أن أعود إلى غيره، فقد جمع فيه نصوص الخطب والوصايا الجاهليّة كافّة، كما أفدتُ من عدّة كتب أخرى، مثل: أسرار البلاغة، للجرجانيّ، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، والعمدة في صناعة الشّعر ونثره لابن رشيق القيروانيّ، والأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي، وغيرها من الكتب القديمة والحديثة.

وقد واجهتني صعوبةٌ في كتابة هذه الدّراسة، وهي: استخراج كلّ الأساليب من الخطب والوصايا، إذ تتفاوت بين ذوق وفهم، وإنّ النّصوص الجاهليّة فيها مصطلحات لم تعد مستعملة في زماننا الحاضر، مما اضطرني إلى استخراج معاني الكلمات قبل الخوض في استخراج الأساليب؛ الأمر الّذي كلّف وقتًا أكبر لإعداد الدّراسة.

وإنّ عمل الإنسان مهما بلغ فلا يخلو من نقص أو خلل، فالكمال لله وحده، فما كان في هذا العمل من خير فمن الله، وما كان فيه من خلل أو تقصير فمن نفسي، والحمد لله رب العالمين، الذي أعانني على إتمامه، والله أسأل السداد في القول والعمل.

تمهيد: الخطابة والوصايا في العصر الجاهلي

أولا: معنى الخطابة في اللغة

ثانيًا: معنى الخطابة في الاصطلاح

ثالثًا: معنى الوصية في اللغة

رابعًا: معنى الوصية في الاصطلاح

خامسًا: بين الخطبة والوصية

سادسًا: أنواع الخطب في العصر الجاهلي

سابعًا: مكانة الخطيب في العصر الجاهلي

ثامنًا: أشهر الخطباء الجاهليين

تاسعًا: خصائص الخطابة في العصر الجاهليّ

عاشرًا: نبذة عن بعض خطباء العصر الجاهليّ

تمهيد: الخطابة والوصايا في العصر الجاهليّ

أولا: معنى الخطابة في اللغة

جاء في لسان العرب: "الخِطابُ والمُخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ... والخُطْبَة مَصْدَرُ الخَطِيبِ، وخَطَب الخاطِبُ عَلَى المِنْبَر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً، واسمُ الكلامِ: الخُطْبَة"[1].

ثانيًا: معنى الخطابة في الاصطلاح

تعدّ الخطابة من أهم أنواع النّثر الأدبيّ في العصر الجاهليّ وهي "نوع أدبيّ موغلٌ في القدم وله مكانة بارزة ومستمرّة حتّى يومنا هذا، وذلك لقيمتها الكبيرة في ميادين الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة، وهي تمثّل العصر الجاهليّ بكلّ أبعاده"[2].

فالخطبة هي: "فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته بتوضيح الآراء وعرض الأفكار وتدعيمها بالأدلة والبراهين والشواهد وإثارة عواطف السامعين"[3]. و"هي كلام جيد المعاني متين الأسلوب مؤثر فيمن يستمع إليه، يخاطب به جمهورًا من النّاس، بهدف استماله إلى رأي معيّن أو إقناعه بفكرة، أو إرشاده إلى طريق يسير فيه، ومنعه من الانحراف في ضلالة"[4].

---

[1] ابن منظور، مادة (خطب).
[2] الهنداوي، حسين علي، **أشكال الخطاب النّثري الفنّي في العصر الجاهليّ**، 37.
[3] محمد، إسماعيل علي، **فن الخطابة ومهارات الخطيب**، 13.
[4] الفيصل، عبد العزيز بن محمد، **الأدب العربي وتاريخه**، 164.

ثالثًا: معنى الوصية في اللغة

جاء في معجم العين: الوصية هي "ما أوصيت به"[1]، ووصيت الشيء ووصلتُه سواء، وسميت وصية؛ لاتصالها بأمر الميت[2]، و"تواصى القوم؛ أي: أوصى بعضهم بعضًا"[3].

رابعًا: معنى الوصية في الاصطلاح

الوصية هي: " ما توجهه إلى إنسان أثير لديك من ثمرة تجربة وحكمة وإرشاد وتوجيه، وكذلك النصيحة، فمعناهما متقاربان أو متحدان"[4]. وهي: "ضرب من الأدب النثري الذي يقترب من الحكمة في منحاه، يتوجه به الرئيس أو القائد لقومه ساعة يرى ضرورة لذلك، أو الأب لأولاده عندما يحس أنه مفارقهم، ثم لم تلبث هذه الوصايا أن تصبح لديهم دستورًا يهتدون بهديه"[5].

فالوصايا: فن قولي، شفوي الأصل، يصدر عن رؤية أو عن نزعة مثالية في مضمونها وغايتها، وهي بهذا أداة إبلاغ، يدفع بها الموصِي إلى الموصَى إليه على شكل مجموعة من الأوامر والنواهي، ليقوم الأخير بتنفيذها والالتزام بها، شريطة أن يكون الموصِي شخصًا يمتلك على مستوى الإبداع الأدبي كفاءة في التعبير اللغوي والأدبي، وكفاءة في امتلاك الخبرة الإنسانية في صورتها المثالية المنشودة، اجتماعيًا وإنسانيًا، وأن يمتلك كياسة في التعبير، وفهمًا لسيكولوجية المخاطَب، وفيضًا من المشاعر الصادقة[6]. ومن هذا التعريف نستنتج الصفات التي يجب أن تتوفر في الشخص الموصي.

---

[1] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، مادة (وصى).
[2] الأزهري، أبو منصور، **تهذيب اللغة**، مادة (وصى).
[3] الجوهري، **الصحاح**، مادة (وصى).
[4] خفاجي، محمد عبد المنعم، **الحياة الأدبية في العصر الجاهلي**، 152.
[5] القيسي، نوري، وآخرون، **تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام**، 439.
[6] ينظر: النجار، محمد رجب، **النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابة**، 53.

خامسًا: بين الخطبة والوصيّة

يقول الدّكتور هاشم مناع إنّ "الوصايا ضرب من ضروب الخطب"[1]، والوصيّة "هي ما يوصي بها شخص إلى شخص آخر، وغالبا ما يكون قريبًا أو صديقًا، وذلك حين السّفر أو الزّواج أو الموت أو ما شابه ذلك"[2].

ومن الناحية الفكرية فينعكس في الوصايا الفكر الهادئ العميق، والواقعيّة في النّظر إلى مشكلات الحياة، واستنباط المعاني من التّجربة الحيّة.[3]

وفي موازنة بين الخطبة والوصيّة يمكن القول إنّ الخطبة والوصيّة تتفقان "من حيث توجيه المتلقي إلى الطّريق الصّحيح، وردعه عن الضّلال والفساد، إلا أنّهما تختلفان من حيث المتلقي، فالخطبة تكون على ملأ من النّاس غالبا، حتى تعمّ الفائدة، في حين نجد الوصيّة غالبا توجه إلى إنسان معيّن في زمن معيّن، ولا حاجة لوجود جمهور بجانب الموصى إليه، في الوقت ذاته، لا يمنع من وجود بعض النّاس، إذا دعت الضّرورة، وربّما تكون هذه الوصيّة صالحة لشخص آخر في زمن آخر إذا توافقت المناسبة"[4].

سادسًا: أنواع الخطب في العصر الجاهلي

كان العرب في العصر الجاهلي يستخدمون الخطب في العديد من المواقف، ومنها: "منافراتهم، ومفاخراتهم، وفي النّصح والإرشاد، وفي الحثّ على قتال الأعداء، وفي الدّعوة إلى السّلم وحقن الدّماء، وفي مناسباتهم الاجتماعيّة المختلفة، كالزّواج والإصهار إلى الأشراف، وكانوا يخطبون في الأسواق والمحافل العظام، والوفادة على الملوك والأمراء، متحدّثين عن مفاخر قبائلهم ومحامدها"[5].

---

[1] **النّثر في العصر الجاهلي**، 107.
[2] **نفسه**، 107.
[3] ينظر: طليمات، غازي، والأشقر، عرفان، **الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه**، 561.
[4] **النثر في العصر الجاهلي**، 107-108.
[5] ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، 27.

سابعًا: مكانة الخطيب في العصر الجاهلي

يقول الجاحظ في حديثه عن مكانة الخطيب في العصر الجاهليّ مقرونا بالشاعر آنذاك: "كان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب، وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر"[1]، فبهذا كان "الشاعر في الجاهلية يقدّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم، ويفخّم شأنهم، ويهوّل على عدوّهم ومن غزاهم، ويهيّب من فرسانهم، ويخوّف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم، فيراقب شاعرهم. فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر"[2].

ثامنًا: أشهر الخطباء الجاهليّين

إنّ القارئ لكتب الأدب والتّاريخ يجد أنّ كلّ قبيلة جاهليّة كانت حريصة على تشجيع خطبائها وشعرائها الّذين هم عماد القبيلة، ويدافعون عن مكانتها، فبرز في مكّة عتبة بن ربيعة، وسهيل بن عمرو الأعلم، وهاشم بن عبد مناف، ونُفَيْل بن عبد العُزّى.[3]

أمّا خطباء المدينة فأشهرهم قيس بن شمّاس، وابنه ثابت خطيب الرّسول –صلى الله عليه وسلّم– وسعد بن الرّبيع، أمّا خطباء القبائل فأشهرهم: عمرو بن عمّار الطّائيّ، وهانئ بن قبيصة، وزهير بن جناب الكلبي، وربيعة بن جُذار الأسدي، وعامر بن الظّرب العدوانيّ.[4]

---

[1] **البيان والتبيين**، 83/4.
[2] ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي**، 415/1.
[3] ينظر: منّاع، هاشم صالح، **النّثر في العصر الجاهلي**، 49-50.
[4] ينظر: **نفسه**، 51.

ولم تشتهر قبيلة بالخطابة كما اشتهرت إياد وتميم، فمن إياد قس بن ساعدة، ومن خطباء تميم: ضمرة بن ضمرة، وأكثم بن صيفي، وقيس بن عاصم، وعطارد بن حاجب بن زرارة، وعمرو بن الأهثم المنقري.[1]

ومن خطباء غَطَفان في الجاهليّة: خُويلد بن عمرو، وقيس بن خارجة بن سنان، ومن خطباء اليمن: الصّبّاح بن شُفَيّ الحميريّ، والخطيب الأسود بن كعب، وطليحة بن خويلد الأسديّ، أما الخطباء الذين كانوا يدعون الكهانة[2] فمنهم: حازي جهينة، وشق بن أنمار بن نزار، وسطيح بن ربيعة بن مسعود، وعزّى سَلِمة، والأقرع بن حابس، ونفيل بن عبد العزى، وكلّهم كانوا يحكمون وينفرون بالأسجاع.[3]

تاسعًا: خصائص الخطابة في العصر الجاهليّ

1- وضوح الفكرة.

2- جودة العبارة وسلامة ألفاظها.

3- الإكثار من السّجع غير المتكلّف.

4- التّنوع في الأسلوب بين الخبري والإنشائيّ.

5- قلّة الصّور البيانيّة.

6- استخدام الأسلوب المرسل في خطب المحافل وإصلاح ذات البين، ولا يغفل صاحب الأسلوب المرسل في الوقت نفسه عن تجويد وتنقيح خطبته، والتّروّي فيها، سعيًا إلى إثارة السّامعين واستمالتهم.

7- إيثار قصر العبارة، وتوشيحها ببعض الحكم والأمثال.

---

[1] ينظر: ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، 32.

[2] "كانت عند العرب في العصر الجاهليّ طائفة تدّعي التنبؤ ومعرفة المغيبات، وأنّها تنطق عن آلهتهم بما سُخّر لها من الجن التي تسترق السّمع، فتكشف بها الحجب وما تأتي به ألواح الغد، وكانوا يسمونها الكهّان... وكانوا يفزعون إليهم لاستشارتهم في الأمور الجُلّى كإعلان حرب أو قعود عن نصرة أحلاف أو كشف قتل إنسان أو ناقة... وهم بدورهم قد يتنبؤون لأقوامهم بوقوع كارثة أو حدوث غزو" **نفسه**، 38.

[3] ينظر: منّاع، هاشم صالح، **النّثر في العصر الجاهلي**، 52-54.

8- قد تطول الخطبة، وقد تقصر، ولكلّ منهما مقام وموضع وقدر من العناية.[1]

عاشرًا: نبذة عن بعض خطباء العصر الجاهليّ

أ- أكثم بن صيفي

هو أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن الأسيدي العمروي التميمي[2]، أشهر حكام العرب في الجاهليّة وأحد المعمّرين فيها[3]، كان يلقّب حكيم العرب[4]، شارك في الغارات والمعارك والأيام مع قومه[5]، وكانت كل العرب تتقاضى عنده ولا تردّ حكمه لشرفه ونزاهته وحكمته[6]، وصُنّف أنّه حكيم العرب دون منازع[7].

ب- هاشم بن عبد مناف

اسمه "عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة"[8]، كان هاشم موسراً غنياً، ويعمل بالتجارة، وكان يتولى أمور السقاية والرفادة. توفي بمدينة غزة من أرض الشام في فلسطين عند بني عم قبيلة قريش وهم بنو عمرو بن كنانة، وقبره معروف هناك بمسجد السيد هاشم. ولذلك تدعى مدينة غزة بغزة هاشم.[9]

---

[1] ينظر: الهنداوي، حسين علي، **أشكال الخطاب النّثري الفنّي في العصر الجاهليّ**، 97.
[2] ينظر: ابن حبيب، **المحبر**، 134.
[3] ينظر: **نفسه**، 423.
[4] ينظر: السجستاني، **المعمرون والوصايا**، 14.
[5] ينظر: أبو عبيدة، **النقائض بين جرير والفرزدق**، 137/1.
[6] ينظر: الأصفهاني، **الأغاني**، 73/15.
[7] ينظر: ابن قتيبة، **المعارف**، 31/1.
[8] ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية لابن هشام**، 126/1.
[9] ينظر: ابن قتيبة، **المعارف**، 71/1.

ت- هانئ بن قبيصة الشيباني

هو هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني[1]، كان من فرسان الجاهليّة وسيّد بني شيبان آنذاك، وكان شريفًا عظيم القدر، وكان نصرانيًا وأدرك الإسلام فلم يسلم، ومات بالكوفة[2].

ث- أبو طالب

هو أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، عمّ الرّسول محمّد -صلى الله عليه وسلم-، وهو كافله وناصره وحاميه[3]، كان أبو طالب منيعًا عزيزًا في قريش[4]، وكان سيدًا مطاعًا مهيبًا[5]، ولما بلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- ثماني سنوات، توفي جدّه عبد المطلب، فكفله عمه أبو طالب وأحسن تربيته[6].

ج- قس بن ساعدة

هو "قُسُّ بن ساعدة بن حُذَافة بن زُفر بن إياد"[7]، من أشهر خطباء العرب، فكان يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة والحكمة، كان نصرانيًا، ودعا الناس إلى نبذ الأوثان والأصنام، ودعا إلى عبادة الله، وكان الناس يتحاكمون إليه في خصوماتهم فيقضي بينهم بالحق والخير، وكان بليغ القول، سهل الأسلوب، متخيّر الألفاظ، كثير الحكمة والمثل.[8]

ح- نفيل بن عبد العزى

---

[1] ينظر: ابن دريد، **الاشتقاق**، 359.
[2] ينظر: القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، 217/2-219.
[3] ينظر: ابن قتيبة، **المعارف**، 120/1.
[4] ينظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، 23/2.
[5] ينظر: البعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، 14/2.
[6] ينظر: العسقلاني، ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، 196/7.
[7] البغدادي، **خزانة الأدب**، 80/2.
[8] ينظر: كحالة، عمر رضا، **الأدب العربي في الجاهليّة والإسلام**، 173.

هو: "نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك"[1]، وهو أحد القضاة في الجاهلية. كانت قريش تتحاكم إليه في خصوماتها ومنافراتها وهو جد عمر بن الخطاب.[2]

خ- ذو الإصبع العدوانيّ

ذُو الإِصبَعِ العَدْوَانِيُّ: "اسمه حرثان بن عمرو، وإنّما سمّي ذا الإصبع؛ لأنّه كان له إصبع فقطعها"[3]، وعاش طويلا حتى عدّ في المعمرين. له حروب ووقائع وأخبار. وشعره ملئ بالحكمة والعظة والفخر، قليل الغزل والمديح.[4]

د- أمامة بنت الحارث

أمامة بنت الحارث بن عوف الشيبانية، قيل اسمها «قرصافة»، وقيل هي البرصاء والدة شبيب، وزوجها عوف بن محلم الشيباني. فصيحة من فصيحات العرب، لها وصية تعد من أفضل ما قيل في موضوعها، أوصت بها ابنتها «أم إياس» لما تزوجها ملك كندة الحارث بن عمرو.[5]

ذ- زهير بن جناب الكلبي

هو زهير بن جناب بن هبل الكلبي، من بني كنانة بن بكر، خطيب قضاعة، وسيدها، وشاعرها، وبطلها، ووافدها إلى الملوك، في الجاهلية. كان يدعى (الكاهن) لصحة رأيه، وعاش طويلا، وهو أحد الذين شربوا الخمر صرفا حتى ماتوا، وهو من أهل اليمن.[6]

---

[1] ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، 68/1.
[2] الزركلي، **الأعلام**، 45/8.
[3] ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية لابن هشام**، 112/1.
[4] الأصفهاني، **الأغاني**، 89/3.
[5] ينظر: العسقلاني، ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، 13/8.
[6] ينظر: الآمدي، **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء**، 130.

الفصل الأول
تحليل نماذج من خطب العصر الجاهلي

- النّصّ الأوّل: خطبة أكثم بن صيفي.

- النّصّ الثّاني: خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة.
- النّصّ الثّالث: خطبة المأمون الحارثي.
- النّصّ الرابع: منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية.
- النّص الخامس: خطبة هانئ بن قبيصة الشّيباني.
- النّصّ السّادس: خطبة أبي طالب في زواج الرّسول – صلى الله عليه وسلم– بالسّيّدة خديجة.
- النّص السّابع: خطبة قس بن ساعدة الإيادي.

الفصل الأول: تحليل نماذج من خطب العصر الجاهلي

درس هذا الفصل أمثلة تطبيقيّة من الخطب في العصر الجاهليّ، وحلّل ما فيها من بلاغة، وكان ذلك بذكر نص من خطبة معيّنة ثمّ تحليلها وبيان ما فيها من بلاغة على الأصعدة كافة، كالاستعارات، والتشبيهات، والكنايات، والمجازات، والحذف، والتقديم والتأخير، والالتفات، والشكل الفني، على أن يوضع نص الخطبة الكامل في الملحقات.

وطبق هذا الفصل على سبعة نصوص من الخطب الجاهليّة، لسبعة خطباء مختلفين، وهي: خطبة أكثم بن صيفي، وخطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة، وخطبة المأمون الحارثي، ومنافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية، وخطبة هانئ بن قبيصة الشيباني، وخطبة أبي طالب في زواج الرسول –صلى الله عليه وسلم– بالسيدة خديجة، وخطبة قس بن ساعدة الإيادي.

النّصّ الأوّل: خطبة أكثم بن صيفي

جاءت خطبة أكثم بن صيفي ضمن الخطب الّتي قيلت في بلاط كسرى بعد أن قدمت وفود العرب عليه، فبدأ كل خطيب يجهّز نفسه ليقول خطبته التي يمدح فيها قومه، وأوّل خطبة من خطب العرب في بلاط كسرى كانت خطبة النّعمان بن المنذر، وتلتها خطبة أكثم بن صيفي هذه.[1]

يقول أكثم: "**أفضل الملوكِ أعَمُّها نفعًا، وخير الأزمنةِ أَخْصَبُها، وأفضلَ الخُطَباءِ أَصْدَقُها، الصِّدقُ مَنْجَاةٌ، والكَذِبُ مَهْوَاةٌ، والشَّرُّ لَجَاجَةٌ[2]، والحَزْمُ مَرْكَبٌ صَعْبٌ، والعَجْزُ مَرْكَبٌ وَطِئ، آفَةُ الرَّأي الهوى، والعَجْزُ مِفْتاحُ الفَقْرِ، وخيرُ الأمورِ الصَّبرُ، حُسْنُ الظَّنِّ وَرْطَةٌ، وسُوءُ الظَّنِّ عِصْمَةٌ، إصلاحُ فَسَادِ الرَّعِيَّةِ خيرٌ مِن إصلاحِ فَسَادِ الرَّاعِي، مَن فَسَدَتْ بِطَانَتُه كان كالغاصّ بالماءِ**"[3].

إنّ أوّل ما يلفت المتلقّي لهذا النّصّ هو التّشبيه الوارد فيه، ففي قول الخطيب: **(الحَزمُ مركبٌ صعب)**، شبّه الحزم بالمركب الصّعب، وحُذفت أداة التّشبيه، أمّا وجه الشّبه بينهما فهو صعوبة الأمر، وفي هذا التّشبيه تجسيم للحزم، إذ أضفى صورة أقرب للذّهن يستطيع المتلقّي تخيّلها وفهمها بطريقة أفضل، فالحزم أمرٌ صعب يحتاج إلى عزيمة ورأي نافذ، كما يحتاج شدّة وقت حاجتها ورخاءً وقت حاجته، كذلك قيادة المركب صعبة تحتاج إلى مهارة وقوّة، وليس المقصود قوّة العضلات، إنّما فنّ القيادة، فقائد المركب لا بدّ له من معرفة الوقت الّذي يسرع فيه والوقت الّذي يبطئ فيه، وإلّا فإنّ مصيره إلى الهلاك، نتيجة لقلب المركب أو عمل حادث فيه، وهذا الكلام موجّه للملك، فمن أهم صفات الملك أن يكون حازمًا في موضع الحزم، لينا في موضع اللين.

[1] ينظر: صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 15/1.
[2] أي أصله اللجاجة، وهي تماحك الخصمين وتماديهما. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (لجج).
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 21/1.

ويتبع ذلك بقوله: **(العجز مركب وطئ)**، فقد شبّه العجز بالمركب الوطئ، وحذف أداة التّشبيه، وهذا التّشبيه معطوف على التّشبيه السّابق، وهو يعتمد على التّجسيم أيضًا، لتقريب صورة العجز إلى ذهن المتلقّي، فالعجز –وهو المشبّه– كالمركب الوطئ، الّذي يتلاعب به أيّ شخص، والمركب الوطئ تتلاعب به الأمواج وتسيّره كيفما شاءت، وقد تؤدّي إلى إغراقه بعدها، فإن لم يكن الملك حازمًا ذا رأي في أمور مُلك الدّولة، فالمتلاعبون به سيكثرون، وهذا قد يؤدي إلى تنحيته، وهدم دولته.

وفي هذين التّشبيهين ورد ما يعرف بالثنائيات، أي ذكر الشّيء وضدّه، فاستعمل الخطيب أسلوب تأكيد الخبر بذكر نقيضه والتّحذير منه، الأمر الّذي أدّى إلى إضفاء ترابط بين الجمل من حيث المعنى، ويمكن إدراج هذين التّشبيهين تحت التّشبيهات البليغة، إذ حذفت أداة التّشبيه ووجه الشّبه معًا، فهي مؤكّدة مجملة.

وفي قوله _أيضًا_: **(والعجز مفتاح الفقر)**، إذ شبّه العجز بالمفتاح، وهذا المفتاح للفقر، أي يفضي إليه، ولعلّه يؤكد على قبح العجز والتّنفير منه، بتشبيهه بمفتاح الفقر، واعتمد الخطيب على رسم صورة مجسّمة لتكون أقرب إلى ذهن المتلقي، وهذا التّشبيه بليغ كسابقيه، إذ حذفت منه أداة التّشبيه، ووجه الشّبه معًا، فهو مؤكّد مجمل، وترمز كلمة مفتاح إلى الباب الذي يدخل من خلاله إلى الفقر.

ويمكن ملاحظة أنّ هذه الجملة بدأت باسم معرّف، وانتهت باسم معرّف، وما بينهما غير معرّف، أي عُرّف طرفا الجملة، ولعلّ ذلك الأسلوب يفيد التّخصيص والتّوكيد، وهذا من طرق القصر، والقصر هو "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"[1].

وفي قوله: **(من فسدت بطانته كان كالغاصّ بالماء)** شبّه الحاكم فاسد البطانة بالغاصّ بالماء، مع ذكر أداة التّشبيه وهي الكاف، فالملك الفاسد هو الذي تلتف حوله بطانته على اعتبار أنّ الخطبة موجّهة

[1] الصّعيدي، عبد المتعال، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح**، 2/3.

له، فالملك الّذي يتخذ بطانة فاسدة، فهو كمن يغصّ بالماء، وما أصعب هذا الأمر؛ لأنّ الإنسان يشرب الماء حين يغصّ بالطّعام، فكيف بمن يغصّ بالماء! فالماء يتحوّل في هذه الحالة من نعمة إلى نقمة، كذلك بطانة الملك حين تفسد تصبح نقمة عليه، والمقصود ببطانة الملك هم أعوانه الّذين يبقون حوله، فهؤلاء إن صلحوا فبصلاحهم يصلح أمر الحاكم، أمّا إن فسدوا فإنّهم يفسدون الحاكم والحكم والدّولة معًا، فهذه دعوة ونصح وإرشاد للملك؛ لأن يتخذ من البطانة حاشية صالحة، ليستقيم له الحكم ويدوم.

ويندرج هذا التّشبيه تحت نوع التّشبيه المرسل المجمل، إذ ذكرت فيه أداة التّشبيه وهي الكاف، وحذف منه وجه الشّبه، وقد برز جمال هذا التّشبيه برسم صورة له، اعتمد فيها الخطيب على تجسيم الفكرة، وهي أنّ فاسد البطانة كمن يغصّ بالماء، إذ يشدّد على سلبيّة بطانة السّوء والتنفير منها، وفي هذه الجملة أسلوب شرط، وفعل الشّرط (فسدت) وجوابه (كان كالغاصّ بالماء) وأداته (مَن)، فهذا شرط مكتمل الأركان، غرضه النصح والتحذير.

ومن الملاحظ في النّصّ استخدام الخطيب لاسم التّفضيل بشكل متكرّر كما في: **(أفضل، خير، أخصبها، أفضل، أصدقها...)** وجاء هذا التّكرار لاسم التّفضيل لتأكيد كلامه، وليعلي ويرفع من قيمة من يتحدّث عنه، إذ كان يتحدّث عن الملك ومكانته.

وقد وردت استعارة في هذا النّصّ، في قول أكثم: **(خير الأزمنة أخصبها)** فهنا نجد استعارة مكنيّة، إذ شبّه خير الأزمنة بالأرض الخصبة الّتي تُنبت زرعًا جيّدًا، فقد حذف المشبّه به وهو الأرض، وأبقى على شيء من لوازمها وهو الخصب، وهذه الجملة مرتبطة بالّتي تسبقها **(أفضل الملوك أعمّها نفعًا)**، فإنّ الملك إن كان نافعًا جعل الزّمن الّذي يحكم فيه نافعًا، وهذا لا يأتي دون تعب، بل يحتاج إلى جهد وتعب يتكاتف فيه الملك مع شعبه.

والمتلقي للخطبة ينتبه للجرس الموسيقيّ الموجود فيها بفعل الازدواج والوزن واتفاق الفواصل في نهاية كل جملة، كما في: **(خير الأزمنة أخصبها، أفضل الخطباء أصدقها، أفضل الأشياء أعاليها، أعلى الرّجال ملوكها...)**، **(الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشر لجاجة)** وهذا الازدواج يثير انتباه المتلقّي ويُبعد عنه الملل.

وقد ورد في النّصّ طباق، وهو: "الجمع بين متضادّين، أي معنيين متقابلين في الجملة، بأن يكون بينهما تقابل وتنافٍ ولو في بعض الصّور"[1]، فقد استخدم الخطيب جملة **(الصّدق منجاة، والكذب مهواة)**، فبين (الصّدق والكذب)، و(منجاة ومهواة)، مقابلة، فكل كلمة لها ما يقابلها من التضاد، فبالضّد تتمايز الأشياء وتتبين، فلو كان النّاس كلّهم صادقين لم يعرف فضل الصدق، فسبحان من خلق بحكمته الأضداد، وإلا لضاعت القيم وتاه الجمال، واستوى المحسن والمسيء، وعليه قول الشاعر:

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد[2]

وفي موضع آخر من الخطبة يقول أكثم: " **شَرُّ الملوكِ مَن خَافَهُ البَرِيءُ، المَرْءُ يَعْجَزُ لا مَحَالَةَ، أفضلُ الأولادِ البَرَرَةُ، خيرُ الأعوانِ مَن لم يُرَاءِ بالنَّصيحةِ، أَحَقُّ الجنودِ بالنَّصرِ مَن حَسُنَتْ سَريرتُهُ، يكفيكَ مِن الزَّادَ ما بَلَّغَك المَحَلَّ**"[3].

في قول أكثم: **(شَرُّ الملوكِ مَن خَافَهُ البَرِيءُ)** أي الملك الّذي يخافه البريء هو ملك ظالم لا يعدل في أحكامه ولا يعين النّاس، فهذه كناية عن ابتعاد النّاس عن الملك، وهذا من أسوأ الملوك، إذ كانت وظيفته في الأساس أن يحكم بالعدل، وهذه كناية قريبة لا تحتاج إلى إعمال الذّهن لفهمها، وهي كناية عن موصوف وهو الملك الذي يتوقد شرًا.

---

[1] الصّعيدي، عبد المتعال، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح**، 363/2.
[2] العكوك، علي بن جبلة، **ديوانه**، 97.
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 21/1.

كذلك نجد الكناية في جملة: **(أفضلُ الأولادِ البَرَرَةُ)** كناية عن حسن خلق هؤلاء الأولاد، وبرّهم بوالديهم، كما أوصى الله –سبحانه وتعالى–، وهذه كناية عن نسبة بين الصّفة وصاحبها، إذ صرّح بذكر الصّفة المراد إثباتها وهي صفة البرّ بالوالدين، وعليه يكون هذا المثال شاهدًا على الإيجاز بحذف (الوالدين).

فبعدما أبان عن عجز المرء ذكر أعظم السند له والمدد وهم الولد وخصّ البررة منهم ، ثم نراهُ في السياق نفسِهِ يتعرّضُ لذكر خيرية الأعوان فنفهم أنّ المرءَ الوحيد لا عونَ له فإذا رُزِقَ الولد كان خيرَ عونٍ له، ثم توسّع في ذكر هذه الخيرية للأعوان وعلاقتهم بالصدق في النصيحة وعدم المراءاة، فقال: **(خيرُ الأعوانِ مَن لم يُرَاءِ بالنَّصيحةِ)** وفيها أسلوب الكناية عن الصّدق وعدم النّفاق، فالمراءاة من فعل المنافقين، ومن أراد نصح شخص، فعليه أن يكون محبًا لذلك، ولرغبة منك في النّصح وتقديم يد العون، وليس للتّفاخر بين النّاس بما قدّم من خير، ومن يريد أن ينصح شخصًا ولو بشيء صغير، فعليه نصحه دون وجود أحد لا التشهير به، فإنّها تكون حينئذ فضيحة لا نصيحة، وهذه الكناية عن نسبة بين الموصوف وهو الأعوان وبين الصّفة وهي خير، باعتبار المراءاة بالنّصيحة مقياسًا لمدى خيرهم.

كذلك ورد الطّباق بين طيّات هذه النّصائح، ففي جملة: **(شَرُّ الملوكِ مَن خَافَهُ البَرِيءُ... خيرُ الأعوانِ مَن لم يُرَاءِ بالنَّصيحةِ)** فالتضاد واقع بين كلمتي الخير والشر وهكذا الخطباء يأتون في خطبهم بأعظم الخير لشحذ الهمم إليه وأعظم الشرّ لبيان غاية التحذير منه، كقول أبي فراس الحمداني:

عَرَفتُ الشَرَّ لا لِلشَر ... رِ لَكِن لِتَوَقّيهِ

وَمَن لَم يَعرِفِ الشَرَّ ... مِنَ الخَيرِ يَقَع فيهِ[1]

بالإضافة إلى التقديم والتأخير فنجد تقديم الخبر (شرّ، خير) وتأخير المبتدأ (مَن خافه، مَن لم يراهُ)، وكذلك قدّم الفاعل على فعل المضارع في قوله: (المرء يعجز) لاستمرارية ضعف الإنسان وعجزه

[1] **ديوانه**، 352.

بشكل عام، فهذه الحكمة مغزاها أنّ أكثم بن صيفي يثبط قومه على القتال وينهنه من نزاعاتهم الجامحة إليه، فهو يقول لهم: إنّ العجز من شأن الإنسان، وإنّه لا حيلة له في توقيفه، وفي التقديم والتأخير ملمس لطيف وهو لفت الانتباه وأدعى لقبول النصيحة.

ووجدت الاستعارة في قوله: **(يكفيكَ مِن الزَّادَ ما بَلَّغَك المَحَلَّ)** فهي استعارة مكنية، إذ يشبّه الزّاد بالدّابة الّتي يصل بها الإنسان إلى موطنه، وحذف منها المشبّه به وهو الدّابة، وأبقى على شيء من لوازمه وهو تبليغ المحل، وفي هذه الجملة إشارة إلى أنّ القناعة كنز لا يفنى، إذ إنّ القناعة تدخل الفرح إلى قلب مالكها، أمّا الطمّاع فإنّه لا يجد لذّة في أيّ شيء يحصل عليه لطمعه الدّائم بالمزيد.

وفي ختام هذه الخطبة تجدر الإشارة إلى أنّ أكثم بن صيفي استخدم صيغة الجمع في نصائحه، ولم يستخدم صيغة المفرد؛ لأنّه يقدّم هذه النّصائح للجميع دون استثناء، وهذه طبيعة الخطب وديدنها، ومن يتعمّق فيها يجد أنّها تصلح لكلّ زمان ومكان، وليست محتكرة على العصر الّذي قيلت فيه.

النّصّ الثّاني: خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة

تنافرت قريش وخزاعة إلى هاشم بن عبد مناف، فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة؛ فقال في خطبته:

"أيُّها النَّاس، نَحنُ آلُ إبراهيمَ، وَذُرِّيَّةُ إسْمَاعِيلَ، وَبَنُو النَّضرِ بنِ كِنَانَةَ وَبَنُو قُصَيّ بنِ كِلَاب، وَأَرْبَاب مَكَّةَ، وَسُكَّانُ الحَرَمِ، لَنَا ذرْوَةُ الحَسَبِ، وَمَعْدنُ المَجْدِ، وَلِكُلّ في كلّ حِلْفٌ[1] يَجِبُ عَلَيْهِ نُصْرَتهُ، وَإِجَابَةُ دَعْوَتِهِ، إلّا مَا دَعَا إِلَى عُقُوقِ عَشيرَتِهِ، وَقَطْعِ رَحمِ، يَا بَنِي قُصَيّ، أَنْتُمْ كَغُصْنَيْ شَجَرَة أَيّهُمَا كُسِرَ أَوْحَشَ صَاحِبَهُ، والسّيْفُ لا يُصَانُ إلّا بِغِمْدِهِ، وَرَامِي العَشِيرَةِ يُصِيبُهُ سَهْمُهُ، وَمَنْ أَمحَكَهُ[2] اللّجَاج أَخْرَجَهُ إِلَى البَغْيِ"[3]

يبدأ هاشم بن عبد مناف خطبته بلفت انتباه النّاس إليه، وذلك بقوله: **(أيّها النّاس)**، وهذا أسلوب إنشائيّ طلبيّ غرضه النّداء، لكنّه حذف أداة النّداء منه، للدّلالة على قرب النّاس منه، إذ "إنّ حذف أداة النداء لَهُ دلالةٌ في نفس البليغ، وهي أنّ المنَادى هو في أقرب منازل القرب من المنادِي، حتّى لَمْ يحتج إلى ذكر أداة نداءٍ لَهُ لشدّةِ قُربِهِ"[4]، ثمّ يتابع بقوله: **(نحن آل إبراهيم، وذرية إسماعيل، وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب، وأرباب مكة، وسكان الحرم)** وهو بهذا الكلام يردّ القوم إلى أصولهم، ويذكّرهم بأنّهم ينحدرون من أصول واحدة، ثمّ يذكرهم بأنهم أنّهم أرباب مكّة، وسكّان الحرم، فلا يليق بمن يحمل هذه الصّفات أن يختلفوا ويتنافروا.

وقد استعمل الخطيب أسلوب السّجع في خطبته، ممّا أضفى جرسًا موسيقيًا غير متكلّف، وإيقاعًا يجذب انتباه المتلقي، ويجعل للتّعبير قوّة وتأثيرًا ووضوحًا، ويساعد على ترسيخ الفكرة، ومن السّجع قوله:

---

[1] الحلف: العهد بين القوم، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حلف).
[2] أمحكه: أغضبه، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (محك).
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 272/1-273.
[4] الميداني، عبد الرّحمن حسن حبنّكة، **البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها**، 242/1.

(ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته، إلا ما دعا إلى عقوق عشيرته) فقد التقت الفواصل في آخر حرفين وهما التّاء والهاء، وذلك في الكلمات (نصرته – دعوته – عشيرته).

وقد ورد في هذا النّصّ استعارة بقوله: **(لنا ذروة الحسب)**، إذ شبّه الحسب بجبلٍ عالٍ، ثمّ حذف المشبّه به وهو الجبل، وأبقى على شيء من لوازمه وهو الذّروة، أي قمّة الجبل وقمّة الشّيء أعلاه، فهو يتفاخر بنسبه وحسبه، ويقصد أنّه منحدر من أفضل نسب موجود.

كما حدث في هذه العبارة تقديم وتأخير، فقد تقدّم الجار والمجرور (لنا) وهو خبر المبتدأ، على المبتدأ (ذروة)، وقد أفاد هذا التّقديم تسليط الضّوء على قيمة القبيلة نفسها، أي على الشّخوص لا على الصّفات، وكذلك قدّم الجار والمجرور الخبر على مبتدئه، وهو: (حلف)؛ ليفيد العموم.

وقد حدث التفات في الضّمائر المستعملة في النّص، فقد بدأ الخطيب كلامه بصيغة المتكلّم (نحن) بقوله: **(نحن آل إبراهيم، وذرية إسماعيل...)**، ثم التفت بكلامه عن ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب (أنتم) بقوله: **(يا بني قصي، أنتم كغصني شجرة...)**، وهذا الالتفات أفاد جذب انتباه القارئ، وآثر أن يناديهم بأداة نداء (البعيد) لتعظيمهم.

ثمّ يخاطب القبيلتين بقوله: **(أنتم كغصني شجرة أيّهما كُسِر أوحش صاحبه)** فقد استخدم أسلوب التّشبيه ليبيّن مدى صلة القرب ما بين القبيلتين، فشبّه القبيلتين بغصني شجرة أصلهما واحد مثبّتان بجذر الشّجرة، ويبقيان متلازمين دائمًا، فهذان الغصنان إذا ما كُسِر أحدهما فإنّه سيوحش صاحبه، ويبقى ضعيفًا دونه، ولعلّ هاشم بن عبد مناف يدعوهم إلى الوحدة، ويذكّرهم بقوّتهم معًا، فإن تفرّقا صار كلّ منهما ضعيفًا لا يقوى على شيء، فاليد الواحدة لا تصفّق، كذلك القبيلتين يجب أن تبقيا موحّدتين؛ كي تبقى قوّتهم ويكون لهما تأثير، فإنّ أيّ مكروه يصيب أيّ قبيلة منهما فإنّ ذلك يؤثّر على القبيلة الأخرى. فالخطيب يعتمد أسلوب الإقناع في حديثه.

وفي قوله: **(السّيف لا يصان إلا بغمده)** فقد وردت استعارة تصريحيّة، إذ صرّح فيها بذات اللّفظ المستعار الّذي هو في الأصل المشبّه به حين كان الكلام تشبيهًا قبل أن تحذف أركانه باستثناء المشبّه به. وأصل الجملة: (أنتما كالسيف الذي لا يصان إلا بغمده)، أي كل منكما سيفٌ وصاحبه غمد له، فيجب عليكما أن تحافظا على بعضكما، فالواحد منكما ستر وغطاء للآخر، كما يحفظ الغمد السّيف، كذلك وردت استعارة تصريحيّة في الجملة الّتي تليها: **(رامي العشيرة يصيبه سهمه)**، ويقصد بها أنّ من يقذف عشيرته وأقاربه وقومه ويرميهم بسهم فإنّ هذا السّهم سيرتدّ إليه ويصيبه؛ لأنّه أحد أفراد العشيرة.

وفي موضع آخر من خطبته يقول هاشم بن عبد مناف: "**أَيّهَا النّاسُ، الحلْمُ شَرَفٌ، وَالصّبْرُ ظَفَرٌ، وَالمَعْرُوفُ كَنْزٌ، وَالجُودُ سُؤْدُدٌ، وَالجَهْلُ سَفَهٌ، وَالأَيّامُ دُوَلٌ، وَالدّهْرُ غِيَرٌ، وَالمَرْءُ مَنْسُوبٌ إِلى فِعْلِهِ، وَمَأْخُوذٌ بِعَمَلِهِ، فَاصْطَنِعُوا المَعْرُوفَ تَكْسبُوا الحَمْدَ، وَدَعُوا الفُضُولَ تُجَانِبْكُم السّفَهَاء، وَأَكْرِمُوا الجَلِيسَ يَعْمَرُ نَادِيكُم، وَحَامُوا الخَلِيطَ يُرغَب فِي جِوَارِكُم، وَأَنْصِفُوا مِنْ أَنْفُسِكُم يُوثَق بِكُم، وَعَلَيْكُم بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ فَإِنّها رِفْعَةٌ، وَإِيّاكُم وَالأَخْلاق الدّنِيّة؛ فَإِنّها تَضَعُ الشَّرَفَ، وَتَهْدِمُ المَجْدَ**"[1].

إنّ أوّل ما يطالعنا في هذا النّص الالتفات الحاصل فيه في قول الخطيب: **(والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد)**، فقد تحوّل الكاتب من ضمير الغائب (فعله، وعمله) إلى ضمير المخاطب (اصطنعوا، وتكسبوا)، وهذا الالتفات أزاح الملل عن نفس المستمع للخطبة.

وقد ورد في هذا النّصّ عدّة تشبيهات منها: **(والمعروف كنز)** إذ يشبّه المعروف بالكنز، وحذف أداة التّشبيه ووجه الشّبه معًا، فهذا تشبيه بليغ، فصانع المعروف، كمن يهدي كنزًا إلى صاحبه، بقيمته المعنويّة أكثر من المادّيّة، وهو بصنعه لذلك المعروف لا ينتظر مقابلًا له، فهذا عطاء ممدود، وفعل الخير

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 273/1.

وبذل المعروف كنز يبقى لصاحبه في حياته وبعد مماته، وقد شبّه شيئًا معنويًا وهو المعروف، بشيء محسوس وهو الكنز.

كذلك نجد تشبيهيْن في قوله: **(الأيّام دول، والدّهر غِيَر)**' فانزاح في الأوّل إلى: الأيّام دُوَل، فهو تشبيه بليغ حذفت منه أداة التّشبيه ووجه الشّبه معًا، فالأيام تدور، ولا تبقى على حال، يومٌ لك ويوم عليك، وكما قال الله تعالى: {وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ}[1]، نداولها "من فرح وغم وصحّة وسُقم وغنى وفقر"[2]. ونجد المعنى ذاته في قول الشّاعر النّمر بن تولب العكلي:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرّ[3]

فالأيام متقلّبة، يومٌ نجد فيه السّرور، ويومٌ نجد فيه الحزن والتّعاسة، وهذا من عدل الله في الأيّام والنّاس.

و**(الدّهر غِيَر)**: تشبيه بليغ كذلك، إذ حذفت منه أداة التّشبيه ووجه الشّبه، فالغير هي أحداث الدّهر ونوائبه، فلا يبقى على حال واحدة، والمعنى بين التّشبيهين قريب جدا، فالدّهر بأحداثه لا يُبقي شخصًا على حال، فهو متقلب كتقلب الأيّام.

وقوله: **(ودعوا الفضولَ تجانبكم السفهاء)** فهنا نصيحة في غاية الأهمية حيثّ إنّ الخطيب يوجّه بترك فضول العيش وأخذ الزبد من الحياة لبلوغ الهدف، فالسّفهاء لا يقعون إلا على التفاهة والسفاهة، فإذا استغنينا عن فضول المعيشة ارتحنا من السفهاء وثقلهم، ولم يكن هناك وقت لمجالستهم. وهنا ينطبق قول القائل: "من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس"[4].

---

[1] **آل عمران**، 140.
[2] القرطبي، أبو عبد الله محمد، **الجامع لأحكام القرآن**، 569/2.
[3] **ديوانه**، 65.
[4] القشيري، **الرسالة القشيرية**، 224/1.

وهنا لفظة (الناس) من العوام المخصوص المقصود بهم السفهاء لا الناسُ كلُّهم، فلا يمكن الاستغناءُ عن الناس؛ لأنّ الإنسان ما سمّي إنسانا إلا لاستئناسه .

وفي قوله: **(يعمر ناديكم)** اتبع الخطيب أسلوب الحذف والإيجاز، والأصل فيها أن يقول: يعمر ناديكم بأهله، وفي قوله: **(حاموا الخليط)** أي دافعوا عن حقوقهم، كناية عن أوباش النّاس، وقد يراد بالخليط الشريك والصاحب والجار والزوج والقريب... الخ، و(حاموا الخليط يرغب في جواركم) فهنا متعلق بمحذوف تقديره: يرغب في جواركم البعيد، أو الضعيف، أو المظلوم، ولمّا كان ذكر هؤلاء مشمولًا صحيحًا حُذِف التعلّق لإفادة العموم ولو أراد الخصوص لذكره بنفسه، فلما صلحَت هذه المعاني كلُّها حذفها لتكون أبلغ في الشمولية للمقام.

وقد تنوّعت أساليب الخطيب في هذا النّصّ، إذ استعمل أسلوب الإغراء، وأسلوب التّحذير وغيرهما، ممّا يدعم خطبته ويقوّيها، ففي قوله: **(عليكم بمكارم الأخلاق فإنّها رفعة)** فهذا أسلوب إغراء، إذ يغريهم برفعة مكان الأخلاق الكريمة بين النّاس، ثمّ يعلّل السّبب الّذي لأجله يدعوهم إلى التزام مكارم الأخلاق، وهو بأنّ مَن يلتزم بها فإنّه يرفع من مكانته بين النّاس.

واستخدم أسلوب التّحذير في قوله: **(إيّاكم والأخلاق الدّنيّة، فإنّها تضع الشّرف، وتهدم المجد)** ففي هذه الجملة يحذّر هاشم بن عبد مناف من الأخلاق الدّنيّة، ويعلّل تحذيره بأنّها تضع الشّرف وتهدم المجد، فعلى الإنسان أن يحذر هذه الصّفات السّيئة ويتجنّبها، ويحاول قدر الإمكان أن يتحلّى بالأخلاق الحميدة والصّفات الحسنة.

واستعمل الخطيب السّجع في هذا النّصّ في قوله: **(والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله)** ففي هاتين الجملتين التقت الفواصل في آخر حرفين وهما اللام والهاء في المترادفتين: (فعله – عمله)، ممّا أضفى جرسًا موسيقيًا تأنس الأذن وترتاح لموسيقاه.

وقد جنح الخطيب إلى الاستعارة بقوله: **(تهدم المجد)** فهذه استعارة مكنيّة، وقد رفعت من قدر الكلام وقوّت المعنى وأظهرته، إذ شبّه المجد بأنّه مبنى ضخم محسوس، وحذف المشبّه به وأبقى على شيء من لوازمه وهو الهدم، فهذه استعارة مكنيّة توضح عواقب الأخلاق الدّنيّة، التي تدمّر صاحبها.

وقوله **(إياكم)** للتحذير من خطورة الدناءة في الأخلاق، فهي أساس الهدم لكل فضيلة. وقوله: **(فإنها تضع الشرف)** أبان علّة هذه الخطورة بأنّها تضع الشرفَ، كناية عن هتك الأعراض والحط من المكانة، فالأخلاق الدنيّة تضع العلوّ وتحطّ منه وتمحق من قدره، فالأخلاق لا وسط فيها فإما أخلاق عليّة وإمّا أخلاقٌ دنيّة، وأما المجد فتهدمه وتجعله رُكامًا بعضه فوق بعض ولا نفع منه.

وزين الثّنائيّات في الخطبة بالمقابلة في قوله: **(وعليكم بمكارم الأخلاق؛ فإنّها رفعة، وإياكم والأخلاق الدّنيّة...)** وجمل هذه الخطبة تمتاز بالإيجاز، وجميعها أمثال وحكم تشفّ عن حنكة الخطيب، ودرايته بما يدور حوله، وبعد الرّؤية للأمور المستقبليّة، فأفاد من الماضي؛ لينصح به المخاطبين في الحاضر والقادم.

النّص الثّالث: خطبة المأمون الحارثي

قعد المأمون الحارثي في نادي قومه، فنظر إلى السّماء والنّجوم، ثمّ فكر طويلًا، ثمّ قال خطبة جاء في جزء منها:

"طَمَحَ[1] بالأهواءِ الأَشِرُ، وَرَانَ على القلوبِ الكَدَرُ، وَطَخْطَخَ[2] الجَهْلَ النَّظَرُ. إنَّ فيما ترى لَمُعْتَبَرًا لِمَن اعتبرَ؛ أَرْضٌ موضوعةٌ، وسماءٌ مرفوعةٌ، وشمسٌ تَطْلُعُ وتَغْرُبُ، ونجومٌ تَسْرِي فَتَغْزُبُ، وقَمَرٌ تُطْلِعُه النُّحورُ وتَمْحَقُه أدبارَ الشّهورِ، وعاجِزٌ مُثْرٍ، وَحولٌ مُكْدٍ، وشَابٌ مُحْتَضَرٌ[3]، وَيَفَنٌ قد غُبِرَ، وراحلون لا يؤوبون"[4].

إنّ أول ما يلاحظ في هذا النّص ظاهرة التّقديم والتّأخير، والموسيقا الهادئة التي تأنس لها الأذن من تساوي نهاية العبارات على حرف واحد أو أكثر، ومن الاتفاق في الوزن، ومن ذلك قوله: **(طمح بالأهواء الأشر)**، فقد تأخر الفاعل (الأشر) في هذه الجملة، كذلك في قوله: **(وران على القلوب الكدر)** فقد تأخر الفاعل (الكدر).

والدّافع من التّأخير خدمة للمعنى، ومراعاة الموسيقا السّجعيّة، النّاتجة من توافق الفاصلة على حرف الرّاء، وتساوي نهاية الجمل بالوزن (أشر، كدر، نظر)، ومن الملاحظ أن جميع جمل الخطبة مسجوعة مع تغيير في الفواصل درءًا للملل.

قوله (طخطخ) إشارة جميلة لتكرار المقطع فالمتعارف عند العرب إذا أرادت أن تقوّي المعنى كرّرت مقاطعه، كقولهم: (زلزلت الأرض وليس اضطربت الأرض) و (حصحص الحقّ وليس ظهر الحق) وهذا فيه كمال الظهور والوضوح مما يؤدي لكمال الانقياد والطاعة.

---

[1] طمح: ارتفع وعلا، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (طمح).
[2] طخطخ: أظلم، **نفسه**، مادة (طخخ).
[3] مختضر: الذي يموت حدثًا، **نفسه**، مادة (خضر)
[4] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 36/1.

كذلك فقد ورد في هذا النّص تأخير للفعل المضارع وتقديم فاعله، كما في قول المأمون: **(شمس تطلع وتغرب)**، وقوله: **(نجوم تسري فتغرب)** وذلك لما في قوة الجملة الاسمية ما ليس في الجملة الفعلية فلما كان السنن الكوني لا يتخلف في كون الشمس تطلع وتغرب ناسبَ إطلاق الجملة الاسمية فلزم تأخير الفعل المضارع، وتأخير الفعل المضارع عن فاعله يفيد الاستمراريّة في الحدث وتجدّده إلى ما لا نهاية، فمن شأن الشّمس كلّ يوم أن تشرق وتغرب، وكذلك النّجوم أنّها تطلّ علينا بنورها ليلًا لتختفي نهارًا. واستعمل السريّ لمناسبته نظام الليل خاصة دون النهار.

وقد كنى الخطيب في النص بعدّة كنايات، منها قوله: **(وران على القلوب الكدر)** كناية عن صفة، وهذه الصّفة هي الغمّ والكآبة والحزن الّذي يصيب قلب الإنسان، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: {كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ }[1] أي: "غطّت على قلوبهم أعمالهم أن يدخلها فهم القرآن، والبون الشّاسع بينه وبين أساطير الأولين... والقلوب: العقول ومحالُّ الإدراك"[2] والكدر هو نقيض الصّفاء، ولشدة الغشاوة حتى بدا الران، وأصبح غلافًا للقلب لشدة سواده، لاقتراف الذّنب بعد الذّنب، فلا ينفع فيه فهم ولا تأمُّل، كما قال تعالى: { لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا}[3].

ومن الكنايات كذلك قوله: **(قمر تطلعه النحور، وتمحقه أدبار الشهور)** كناية عن بداية الشّهر وآخره وسرعة مرور الأوقات وتبادل منازل القمر، إذ يكون ظهور الهلال دلالة على بداية الشّهر وتربص الناس وتوجيه أنظارهم إليه لما في ذلك من سداد الديون وحلول الأوقات للحج والرحلات وغيرها، وإما في طلعة البدر، فينتظره الناس لوضوح الرؤية وسهولة التنقلّ. وذلك لكمال الرؤية ووضوحها، واختفاء القمر يسمّى المحاق دلالة على نهاية الشّهر، فمحاق الشّيء ذهابه[4]، فالنّحور هي الصّدور[5] وكني بها عن

---

[1] **المطففين**، 14.
[2] ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التّحرير والتّنوير**، 199/30.
[3] **الأعراف**، 179.
[4] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (محق).
[5] ينظر: **نفسه**، (نحر)

النفوس وهذا يدخل في المجاز المرسل بعلاقة الجزء وإرادة الكلّ، وبين كلمتي (النّحور والشّهور) سجعٌ غير متكلّف. وبين كلمتي (تطلعه– تمحقه) طباق.

وتقديم ضمير المفعول في قوله: (تطلعه) و(تمحقه) على الفعل والفاعل يشعر بالاختصاص لهذا القمر دون غيره وهذا فيه من كمال المزية وتمام الفضيلة.

وأما قوله: **(عاجز مثرٍ وحول مكدٍ وشاب محتضر)** ففيه تجميع لغرائب يستبعد الإنسان وقوعها فالغالب في الشاب أنّه يعمّر ويجمع بخلاف العاجز الذي لا يعمل فضلًا عن أن يجمع شيئًا، فلمّا ذكر هذه المقابلات لبيان أنّ الدنيا لا عجب معها، وكما قيل: (إذا عُرف السبب بطل العجب)، وهذه مقدّمة للنّصيحة التي سيدلي بها، وهي قوله: (وراحلون لا يؤوبون) فمن يسمع احتضار الشاب وإثراء العاجز فإنّ أول ما يعتريه هو الدهشة والاستعظام، فيريد الموصي قطع أسباب الدهشة في هذه الدّنيا؛ لأنّه أكثر تحريضًا على فهم حقيقتها، وأرغب في العمل، والابتعاد عن الخمود والكسل.

كذلك قول المأمون الحارثيّ: **(وراحلون لا يؤوبون)** كناية عن موصوف، وهذا الموصوف هو الأموات الّذين ما إن يموتوا حتّى يختفوا من الحياة، ولا يعودون إليها أبدًا، وقد وصفهم بالرّاحلين، كأنّهم مسافرون أو مهاجرون، لكنّ سفرهم لا عودة منه، وبين كلمتي (راحلون – يؤوبون) سجع إذ اتّفق آخر الكلمتين بحرفين هما الواو والنّون، وفي راحلون لا يؤوبون: ترادف.

ولعلّ المتعمّق بهذا النّصّ يقف على عدّة استعارات وردت فيه، منها قول المأمون: **(يفنٌ قد غبر)**، فهذه استعارة مكنيّة، إذ شبّه الشّيخ الكبير أو العجوز المعمّر بالشّيء الّذي يبقى، فحذف المشبّه به وأبقى على شيء من لوازمه، وهذا المثال، كسابقه يدعو إلى أخذ العبرة، وهو مكمل للمعنى السّابق، إذ إنّ الشّاب الصّغير قد يموت، والعجوز قد يعمّر طويلًا، بعكس ما قد يتخيّل الإنسان أنّ الشّاب أمامه حياة طويلة، والعجوز سيموت في أيّ لحظة، وهذا كلّه بيد الله سبحانه وتعالى، ولكن علينا أخذ العبرة منه.

وفيها نجد طباقًا بين كلمتي (يفن وشاب) إذ إنّ اليفن هو العجوز وضدّها الشّاب، كذلك فقد ورد سجع بين كلمتي (محتضر–غبر) إذ اتّفق آخر حرف بالكلمتين وهو حرف الرّاء.

ويلمح القارئ لهذه الخطبة أنّ المأمون يدعو النّاس إلى التّفكّر في خلق الله، والتّأمّل في نواميس الطّبيعة الّتي تسير بدقّة، وبمنتهى الحرفيّة والنّظام، ولا يكون ذلك عبثًا، بل تدبير خالق مسيطر مهيمن، فيُهتدى إليه بالنّظر، والمراقبة، والمتابعة، فلم يخلق الكون عبثًا، ولم يصرّح الخطيب بما يلج في صدره من امتثال النّاس بالوحدانيّة على الفطرة، بل بأسلوب تعريضيّ لا أمر فيه، وهذا من الطّرق المثلى لدعوة النّاس للعبوديّة لله، فهم لا يرتاحون لصيغة الأمر التي فيها الإلزام والامتثال بالقوّة، وهذا ما فعله إبراهيم –عليه السّلام– وهو يدعو قومه للإذعان بوجود خالق واحد عن طريق العقل، وسجّل ذلك القرآن الكريم بقوله: { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ (76)فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ (77)}[1].

[1] **الأنعام**، 76-77.

النّصّ الرّابع: منافرة عبد المطّلب بن هاشم وحرب بن أميّة

تنافر عبد المطّلب بن هاشم وحرب بن أميّة إلى النّجاشيّ ملك الحبشة، فأبى أن ينفّر بينهما، فجعلا بينهما نُفيل بن عبد العُزّى بن رياح، فقال لحرب:

"يا أبا عمرو، أتنافر رجلًا هو أطولُ منك قامة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة، وأقلّ منك ملامة، وأكثر منك ولدًا، وأجزل صفدًا[1]، وأطول منك مِذوَدًا[2]، وإنّي لأقول هذا وإنّك لبعيد الغضب، رفيع الصّوت في العرب، جَلْد المَريرة، جليل العشيرة، ولكنّك نافرتَ مُنَفّرًا ..."[3].

تتبّع نُفيل أسلوب الإقناع بالتّدرّج في إصدار الحكم على هذه المنافرة بالأدلّة والبراهين؛ لإقناع المنهزم، مع أنّ المنهزم بليغ، ولكنّه لا يرتقي إلى مستوى الطّرف المقابل، ومن هذه الأدلّة المقنعة:

1- الاستفهام الإنكاري التوبيخي: أتنافر رجلًا؟!

2- تكرار صيغة التّفضيل (أفعل) سبع مرّات في أقلّ من سطرين.

3- تكرار لفظ (منك) بعد صيغة التفضيل، أي ليس من غيرك ستّ مرات في أقلّ من سطرين.

4- إسناد الصّفات الحميدة الخَلقيّة والخُلقيّة والاجتماعيّة للمتفوّق على الطّرف الآخر في سبع مواطن، وإلصاق الصّفات الحميدة للمنهزم أربع مرّات.

5- وجاء الكلام الفصل في الحكم بعبارة (ولكنّك نافرت منفّرًا).

واستهلّ نفيل خطابه بأداة نداء البعيد (يا) مع أنّ المخاطب قريب منه، فاستخدمها بدلا عن أداة نداء القريب (الهمزة أو أي) وذلك لتقليل شأن حرب مقابل عبد المطلب. وعدل عن الاستفهام الحقيقي إلى

---

[1] الصفد: العطاء، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صفد).

[2] المذود: اللسان، **نفسه**، مادة (ذود).

[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 1/273-274.

الاستفهام الإنكاريّ التّوبيخيّ بقوله: (أتنافر رجلًا هو أطول منك قامة...) وكأنّه أعلن بهذا الاستفهام عن انتصار عبد المطلب على حرب في هذه المنافرة قبل إجرائها، وذيل هذا الحكم بضمير الفصل (هو) للتأكيد.

ويعجّ هذا النّصّ بالكنايات، إذ كان معظم الكلام يحمل الكناية بين طيّاته، ففي قوله: **(أطول قامة وأعظم هامة)** كناية عن المجد الرّفيع لصاحبه، والشّرف العظيم الواصل إليه، وإنّ المتلقّي لهذه المنافرة يطرب للسّجع الموجود فيها، فبين كلمتي (قامة وهامة) نجد تكرار ثلاثة حروف بين الكلمتين، وهي: الألف والميم والتاء، فما اختلف بين الكلمتين إلا الحرف الأوّل، وهذا ليس سجعًا فحسب، بل تعدّاه إلى الجناس النّاقص الذي يعرف بالمضارع، كما استُخدم اسم التّفضيل (أطول، وأعظم، وأقل، وأكثر، وأجزل) ولعلّ هذا الاستخدام لاسم التّفضيل جاء للتّأكيد على كلامه، وليعلي ويرفع من قيمة عبد المطلب، إذ تتطلّب المنافرة اتّباع هذا الأسلوب المقنع بالأدلة الحسية والعقلية.

وقوله: **(وأوسم منك وسامة)** نفهم من دلالة المفعول المطلق أنّها وسامة غير مقيدة وفيها إشعار بكمال الوسامة في عبد المطلب بخلاف غيره مما امتزجت الوسامة بغيرها.

وفي قوله: **(أطول مذودًا)** كناية عن صفة، وهذه الصّفة هي الفصاحة، فالمِذْوَدُ "اللسانُ؛ لأَنه يذاد به عن العِرض"[1].

وفي قوله: **(بعيد الغضب)** كناية عن صفة الحلم فيه، فهو لا يغضب بسرعة، وهذا من صفات الحليم، وتذكّرنا هذه الصّفة بقول الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–: "ليس الشّديد بالصّرعة، إنّما الشّديد الّذي يملك نفسه عند الغضب"[2].

[1] ابن منظور، **لسان العرب** (ذود)
[2] الإمام مالك، **الموطأ**، 47.

وقوله: **(رفيع الصّوت في العرب)** كناية عن كلمته المسموعة بين العرب، فتدلّ هذه الصّفة على أنّ له كلمته الّتي يلقى لها سمعًا، وهذا لا يتوفّر في كلّ الأشخاص، بل في مَن يزرعون بالنّاس وعيهم وهيبتهم ووقارهم وقيمتهم، ومن دلالة فَعيل (رفيع) التي هي بمعنى اسم المفعول أي مرفوع الكلمة لدى العرب فإذا قال كلمة امتثلها قومه وطاروا إليها تسليمًا وانقيادًا.

أمّا قوله: **(جلد المريرة)** فكناية عن شدّة تحمّله وقوّة عزيمته، فلا تكون قواه خاوية، بل يتحمّل الصّعاب أيًا كانت، وهذا يُعلي من قيمته بين النّاس.

ونجد السّجع في هذا النّص يُضفي أثرًا موسيقيًا عليه، فبين الكلمات: (وسامة وملامة) و (ولدًا وصفدًا) و (الغضب والعرب) و (المريرة والعشيرة)، فبين هذه الكلمات كلّها سجع، والذي ضاعف الأنغام الموسيقية تكراره لصيغ التفضيل ولجناس الاشتقاق في قوله: (نافرت منفرًا) وكذلك لتكراره (منك) ست مرات في أقل من سطرين تأكيدًا وتمهيدًا لوقوف الخطيب إلى جانب عبد المطلب.

ومن مجموع أفعال التفضيل على وزن أفعل: (أطول وأعظم واوسم وأقل وأكثر وأجزل..) إشعار بكمالية هذه الصفات وندرتها وأنّها قلّ ما تجتمع في مجموع أشخاص فكيف وقد اجتمعت في شخص واحد، وإذا كان هذا في عبد المطلب بن هاشم، فأنت يا أبا عمرو لست كفؤًا له لمنافرته.

وأما قوله: **(جليل العشيرة)** ففيه كناية عن منزلته الرّفيعة، إذ العرب يهتمون بمنازل القوم وموقع الفرد فيها والمخاطَب أبو عمرو له منزلة سامية في قومه، ولكنّها لا تناهز منزلة عبد المطلب، ويكأنّ الحال: إذا كنت يا أبا عمر جليل العشيرة، فهذا في عبد المطلب أكثر منك وأظهر.

النّصّ الخامس: خطبة هانئ بن قبيصة الشّيباني

قال هانئ بن قبيصة الشّيبانيّ يحرّض قومه يوم ذي قار:

"يا معشرَ بَكْرٍ، هَالِكٌ مَعْذُورٌ خيرٌ مِن نَاجٍ فَرُورٍ. إنَّ الحَذَرَ لا يُنْجِي مِن القَدَرِ، وَإنَّ الصَّبرَ مِن أسبابِ الظَفَرِ. المَنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ، استقبالُ الموتِ خيرٌ مِن استدبارِهِ، الطَّعْنُ في ثُغَرِ[1] النُّحورِ أَكْرَمُ مِنه في الأعجازِ والظهورِ. يا آلَ بكرٍ، قاتِلُوا فما للمنايا مِن بُدٍّ"[2].

إنّ المتأمّل في هذا النّصّ يلاحظ أنّ جميع جمله المتساوية في المقدار هي عبارة عن أمثال وحكم، وكلّها تشحذ الهمم لخوض الحرب، فقد أبدع هانئ بن قبيصة بسلب الألباب بكلماته، فهذا النّصّ من نصوص الحضّ على القتال، وهي من أنواع الخطب المشهورة في العصر الجاهليّ.

ومن الملاحظ أنّ حرف (الراء) وهو صوت جهوري، تكرّر في سطرين ونصف خمس عشرة مرة، ليولد إيقاعا وانسجامًا صوتيًا داخليًا، وما يتخلله من التوافق الموسيقي بين الكلمات، خاصة أن الحرف المكرر (الراء) أكثر ما ورد في نهاية الكلمات، فالحرف الأخير المتلفظ به هو ما يشكل العنصر الأساسي للموسيقا السّجعيّة.

وإنّ هذا النّصّ على الرّغم من قلّة كلماته، إلّا أنّ معانيه كبيرة، وكان للكناية والاستعارة ظهور في جمله، وبما أنّ هذا النّصّ حماسيّ، فلا مجال فيه للخيال.

ففي قوله: **(هالك معذور خيرٌ من ناجٍ فَرور)** يوصي هانئ بن قبيصة على أهمية الاستبسال في الحروب وعدم الانتكاص على الأعقاب، فالموت في سبيل الشجاعة خيرٌ من الحياة فَرًّا، لذا نراه يستعمل صيغة اسم الفاعل في قوله (هالك) للتأكيد على الثبات والاستمرارية في الإقدام وعدم الإحجام.

---

[1] الثَّغْرُ: موضع المخافة من فروج البلدان، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ثغر).
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 37/1.

فالمُوصي يُدرك خطورة الفرّ عند تعانق السيوف وتطاير الرؤوس فالفرّ ولو مرةً من رجلٍ واحد يعود مغبّة ذلك على الجميع بخلاف الإقدام والاستبسال ولو كلّفه الموت فهذا يزيد في حماسة الجيش بأكمله ويقرّب من النصر، ونفهم من دلالة صيغة المبالغة (فَرور) فيها إشارة للذمّ ولا يعني الذمّ في كثرة الفرار فحسب بل الذمّ هنا مطلقٌ في قليل الفرّ وكثيره وإنما أُتِيَ بصيغة المبالغة للتشنيع على المتّصف بهذه الصفة والتفظيع.

وقوله: **(إنّ الحذرَ لا يُنجي من القدَر)** يواصل المُوصي في رفع الهمّة في كون الحذر لا يطيل عمرا ولا يقصّرُ منه، فالقدر واقع لا محالة، ولا بدّ له أن يقع، فالمتبادر إلى الذهن أنّ المُقبل على العدوّ أنّه قد ألقى بنفسه على الموت، كما أنّ الفارَّ إنما فعل فعلته؛ لينجوَ بنفسه! لكن هذا ليس دقيقا؛ لأنّ الفارَّ الجبان قد يكون هو الهالك بجلب انظار الأعداء إليه خاصَّة، أو يكون المتسبّبَ في الموت لجيشه بخلاف الإقدام في الحرب ببسالة، فهو الحياة غالبًا؛ لأنّه يرفع معنويات الآخرين؛ فالمُقبل على العدوّ بشجاعة قد يكون هذا سببًا في النجاة، وجلب النصر للجميع، وبزرع الخوف في نفوس أعدائه. بخلاف الفارّ الذي هرب، فغالبًا ما يزرع اليأس في نفوس إخوانه، وقد يجلب الأعداء إليه، فيقتلوه، فيقع فيما فرّ منه، وهكذا ينجو المِقدام ويهلك الفارّ الجبان. ومن هنا نجد الشرع الحنيف قد حرّم الفرار من الزحف بل عدَّهُ من السبع المُوبقات: {فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ}[1].

وأما قوله: **(وإنّ الصبر من أسباب الظفر)** فلأنّ الصبر هو محراب الظفر، فمتى التزم المرء بالصبر وتحمّل مرارته، كان الظفر بعدهُ، فمتى أُلهِمَ الصبر كان الظفر والعكس بالعكس، وقوله: (من أسباب) مُشعر أنّ هناك أسبابًا أخرى للظفر والغنيمة وأنّ الصبر هو أعظمها، وخصّه من بينها لأهميته واستخفاف الناس به واستثقالهم إياه.

[1] **الأنفال**، 15.

وقوله: **(المنيّة ولا الدّنيّة)** في هذا الجناس غير التامّ نجد عذوبةَ في الجرس الموسيقي الذي يحرّك المشاعر خدمةً للهدف نفسه، وهو البسالة، والإقدام، وعدم التذبذب والإحجام، وقوله: (ولا الدنيّة) فيها استفزاز لعواطف العربي الجاهليّ، وكأنّها تحمل في طيّاتها سؤالًا إنكاريًّا يقول هل تقبل الدنية لنفسك وقبيلتك؟ وهكذا نرى أنّ الموصي لم يدع بابًا للحماسة إلا ووَلَجَه.

ومن الجمل الّتي حملت بطيّاتها كناية: **(الطّعن في ثغر النّحور أكرم منه في الأعجاز والظّهور)** فهذه كناية عن الشّجاعة ومواجهة الأعداء ببسالة، دون خوف أو تردّد، والطعن في ثغر النحور كناية عن الطعن في الصدور.

وقوله: **(الطعن في الأعجاز والظّهور)** كناية أخرى، لكنّها تحمل ضدّ الكناية الأولى وعكسها تماما، فإن كانت الأولى تتحدّث عن الشّجاعة والإقدام، فهذه الثّانية كناية عن الفرار من أرض المعركة، فهانئ بن قبيصة يدعو قومه إلى التّحلّي بالشّجاعة المطلقة يوم الحرب، وأن يهجموا على عدوّهم بكلّ قواهم، ولا يتركوا المعركة مهما حدث.

أمّا قوله: **(فما للمنايا من بد)** فهو كناية عن قدرهم المكتوب، الّذي لا فرار منه، فأنتَ ميتٌ لكنّ موتك غير معلوم الموعد، فلا داعي للخوف والجبن، فهو يحثّ المقاتلين على البقاء والقتال بشجاعة حتّى آخر رمق لهم، وكأنّ لسان حاله يقول: إذا وقع القدر عمي البصر، فالمواجهة في أرض المعركة لا تقصر العمر.

أمّا الاستعارة فقد وردت في عدّة جمل من هذا النّص، ففي قول هانئ: **(الطّعن... أكرم)** استعارة مكنيّة، إذ شبّه الطّعن بالإنسان، وحذف المشبّه به (الإنسان) وأبقى على شيء من لوازمه وهو الكرم، فصفة الكرم لم توجد لغير الإنسان.

كذلك فقد وردت استعارة بقوله: **(الحذر لا ينجي من القدر)** ففيه استعارة مكنيّة، إذ شبّه الحذر بالإنسان، وحذف المشبّه به وأبقى على شيء من لوازمه، فاطلب الموت توهب لك الحياة، ونجد في هذه الجملة سجعًا بين كلمتي (الحذر والقدر) إذ اتّفقتا بالحرف الأخير وهو حرف الرّاء بالإضافة إلى اتفاقهما بالوزن الذي يحقق الإيقاع الموسيقي، فهو يشعر بتلازم بين الحذر والقدر وهذا صحيح نسبيًا وذلك؛ لأنّ الأخذ بالأسباب مطلوب والقدر غيب يُستعان عليه بهذه الأسباب وقد أخالفُ الموصيَ إذا استبعد الحذر مطلقًا ولعلّه أراد الشيء الأغلبي في كون القدر لا ينفع معه الحذر، أو لعلّ الموصي أراد بتحذيره هذا أن لا يجعل السامع يتكل على القدر، وإنما يُفهم منه الحث على الجد والعمل.

ومِلاك ذلك أنّ قبيصة وظّف المعنى الأغلبي وأظهره على أنّه قاعدة مطرّدة، ولا يعني هذا قلة الاهتمام بالقدر إنما هو تسليط الضوء على وقوع القدر ونفاذه لا محالة.

وقوله: **(استقبال الموت خير من استدباره)** ففيه استعارتان، إذ شبّه الموت بإنسان يُستَقبَل، وحذف المشبّه به وأبقى على شيء من لوازمه وهو الاستقبال، فلم يرد أنّ أحدًا يُستقبَل غير الإنسان، والاستعارة الثانية في استدبار الموت وهي نقيض الاستعارة الأولى. وقد ورد طباق في هذه الجملة بين كلمتي (استقبال واستدبار) فهاتان الكلمتان متضادّتان بالمعنى، وقد أضفى الطّباق لمسة جماليّة على النّص بثنائيات الألفاظ، وانتقاؤه لكلمة (استقبال) دون غيرها توحي بالتّرحيب بالموت المشرّف، الذي يقدم على حياة الجبناء، كما يقال: (المنية ولا الدنية).

فالاستقبال يكون مواجهة، وأما الاستدبار فيفيد دائمًا المعاني السّلبيّة، كالجبن، وعدم الاحترام، وعدم الراحة، والنفسية السلبية...

النّصّ السّادس: خطبة أبي طالب في زواج الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– بالسّيّدة خديجة ويقال لها: خطبة الإملاك

خطب أبو طالب حين زواج النّبيّ _صلّى الله عليه وسلّم_ بالسّيّدة خديجة، فقال:

"الحمد لله الّذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذريّة إسماعيل، وجعل لنا بلدًا حرامًا، وبيتًا محجوجًا، وجعلَنا الحكّام على النّاس، ثمّ إنّ محمّد بن عبد الله ابن أخي مَن لا يُوازن به فتى من قريش إلّا رجح عليه برًا وفضلًا وكرمًا وعقلًا، ومجدًا ونبلًا[1]، وإن كان في المال قُلّ، فإنّما المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصّداق فعليّ"[2].

يمكن استخراج عدّة دروس مستفادة من هذا النّص، أهمّها:

1– إنّ أهل الجاهليّة كانوا يعترفون بوجود الله الّذي يستحق الحمد لما شرّفهم بأصلهم وسلالتهم ومسكنهم وانتقاء أفضل الأماكن على الأرض ليحكموها.

2– ذكر صفات العريس ما له وما عليه.

3– التّصريح باسم العريس في الخطبة، وباسم العروس للإشهار.

4– لا بدّ من تبادل مشاعر الإعجاب من الطّرفين.

5– مشروعيّة مساعدة أقارب العريس في نفقات الزّواج من مهر وغيره.

وإنّ هذا النّصّ مع صغر حجمه إلّا إنّه يحمل الكثير من المعاني والدّلالات، فقد وردت استعارة في قول أبي طالب: **(الحمد لله الّذي جعلنا من زرع إبراهيم)**، فقوله: زرع إبراهيم فيه استعارة، إذ شبّه النّسل بالزّرع لما بينهما من التّكاثر، وحذف المشبّه وأبقى على شيء من لوازمه، وهو يقصد نسل سيّدنا

[1] نبلا: ذكاء ونجابة، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نبل).
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 38/1.

إبراهيم، وإدراجه في بداية الخطبة يدلّ على اعتزازه وفخره بهذا النّسل، وهو يحمد الله عليه، وحاول أن يغيّر في انتقاء مفرداته المتقاربة في المعنى والمختلفة في اللّفظ: (زرع، وذرية)، إشارة إلى أنّه يمتلك معجمًا لغويًا ينهل منه نسيج خطبته؛ ليخدم انزياحاته الدّلاليّة بأسلوب البليغ المبدع.

وفي قوله: **(وجعل لنا بلدًا حرامًا)** تأخير للمفعول وتقديم للمتعلق (لنا) التي فيها إشارة التخصيص والملكية لمعنى الافتخار والعظمة، فيكون المعنى: (جعل البلد الحرام لنا لا لغيرنا) ويكون القرشيون قد اختصّوا بهذا البلد الحرام دون غيرهم وفيه ما لا يخفى من تعاضد ألوان الافتخار تشريفا وتعظيمًا.

كذلك وردت استعارة في قوله: **(إنّ محمّد بن عبد الله ابن أخي مَن لا يُوازن به فتى من قريش)** إذ شبّه سيّدنا محمّد بشيء يوزن، وترجح كفّة ميزانه دائمًا، فهو يذكر أنّ سيّدنا محمّد لا يُقارن بأيّ فتى من قريش إلا وكان سيّدنا محمّد أفضل منه، وهذا على الحقيقة من باب إعلاء قدره؛ لينال القبول في خطبته من السّيّدة خديجة، ونلمح افتخار أبي طالب بكون محمد من أقرب الناس إليه بقوله: (ابن أخي) وابن الأخ كالابن، فيعتز به، فانزاح هنا بإطنابه، فذكر البدل (ابن أخي) بدلًا من محمد؛ ليفيد حبه له بالتقرب إليه. ونكّر البلد والبيت (مكة والكعبة) لتعظيم هذا البلد الأمين بتعظيم البيت القائم في هذا البلد، وكأنّ الله استأثرهم بالعيش بهذا المكان على سائر خلقه، فتوجوا بقداسة المكان الذي يعيشون على أرضه.

ثمّ يظهر السّجع بشكل واضح في قوله: **(فضلًا ... وعقلًا، ...ونبلًا)** فقد اتّفقت هذه الكلمات بآخر حرفين وهما: اللام والألف، وبالوزن كذلك، ممّا أضفى موسيقى للنّصّ، وأرى هذا السّجع غير متكلّف؛ لأنّ جميع هذه الصّفات ماثلة في سيّدنا محمّد، فذكر بعض صفاته للتمثيل لا للتقييد والحصر، فكانت قبل الرسالة وبعدها، وهو يتحلى بصفات الفضيلة الأخلاقيّة والخلقيّة ما لا يحصرها عدد.

كذلك فقد وردت في النّصّ عدّة كنايات، منها قوله: **(زرع إبراهيم، وذريّة إسماعيل)** فهذا كناية عن الاعتزاز بالأصل والنّسب، والتّفاخر فيه، فسيّدنا إبراهيم وسيّدنا إسماعيل من أنبياء الله، وأن تكون من

نسلهما، فهذا عز وشرف لم ينله الجميع، فهو مصدرٌ للفخر والاعتزاز، فأكثر ما كان يعتزّ به العرب قديمًا هو النّسب، فهو خيار من خيار من خيار.

أمّا قوله: **(وجعلَنا الحكّام على النّاس)** ففيه كناية عن رفعة القدر والمكانة، فما كان لأيّ كان أن يحكم بين النّاس إلا إن كان من أصحاب صواب الرأي والمكانة العالية، المسموعة كلمتهم، والمعروفين بوجاهتهم وقدرتهم على الحكم العادل الّذي ينصاع إليه من يحتكم إليهم.

وقوله: **(وله في خديجة بنت خويلد رغبة)** فقد ورد هنا تقديم وتأخير، إذ قدّم المتعلّق (وله) إما للتخصيص أو للاعتبار، فعلى القول بالتخصيص؛ أي خصّ محمد دون غيره بهذه الرغبة العظيمة وأما القول بالاعتبار، فهو لبيان مزيد اهتمام لمحمد دون غيره من الرجال وبيان أنّ رغبته تختلف عن سائر الرغبات لتنوّعها ولهذا أُخِّرت (رغبة) بل أتت نكرة لثانوية أهميتها في ذاتها، ولتنوع رغبات الرجال بالنساء كالمال، والجمال، والحسب.

وفي قوله: **(ولها فيه مثل ذلك)** كناية عن الرغبة في محمد _صلى الله عليه وسلم_، ولم يصرح بالرغبة من طرف الزوجة أدبًا وخلقًا، والأصل أن يُقال: (مثل ذلك لها فيه) فحصل هنا تقديمان: أمّا الأول فتقديم الخبر (لها) على المبتدأ (مثل) للدلالة على أهمية خديجة في الكلام؛ لأنّها المقصودة والمطلوبة، كما أن الرغبة مشتركة بينهما وفي هذا قوة في الإقناع والإمتاع لِلأسماع بالإضافة إلى الإشارة إلى أهمية خديجة في نفسها بقوله: (ولها) قبل (فيه مثل ذلك).

وأما التقديم الثاني فحصل في المتعلِّق بقوله: (فيه) للإشارة إلى عظمة محمد –صلى الله عليه وسلم– وتقديمه على الرغبة فقال: (فيه مثل) ولم يقل: (مثل ذلك فيه) لبيان أنّ محمدًا في ذاته مقدّم على الرغبات الزائلة. وعند إعراب المتعلِّق (فيه) يكون جارًا ومجرورًا متعلقًا بمحذوف خبر –عند البصريين–

وهو موجود أو كائن أو نقول –كما عند الكوفيين–: متعلق بـ (لها)؛ لأنها الخبر، ويتحصّل من هذا أنّ النحو يشهد لتعلّق كل من خديجة ومحمد بعضهما ببعض.

ومن التشبيهات الواردة في النّصّ قول أبي طالب: **(إنّما المال ظل زائل)** فقد شبّه المال بالظّلّ الزّائل، وحذف أداة التّشبيه ووجه الشّبه، فالمال لا يبقى على حال، فهو كالظّلّ له وقت يكون فيه قائمًا، ثمّ ما يلبث أن يختفي، كذلك المال فإنّه يكون مع صاحبه بوقت معيّن، ثمّ ما يلبث أن ينتهي، وهو تشبيه بليغ.

كذلك قوله: **(إنّما المال ... عارية مسترجعة)** فهذا تشبيه بليغ كسابقه، إذ شبّه المال بالعارية المسترجعة، وحذف أداة التّشبيه ووجه الشّبه، فالمال كالشّيء المُعار، ولا بدّ من استرداد له، لذلك لا يبقى مع صاحبه فلا يتملّكه، فينتقل من يد إلى يد، وفي أداة الحصر (إنّما) يُفهم أنّ المال لم يجعل إلا للاستعارة والإعارة فقط حتى لا يقع موقع الثبات في النفوس وبذل المهج والأرواح، وإنما هو وسيلة ينتفع بها لأداء مقصد أنبل وأعظم، وقوله (مسترجعة) مفهومة ضمنًا من قوله: (عاريّة)؛ لأنّ الإعارة لا بد فيها من الاسترجاع، وبذلك يكون تكرارًا لبيان أهمية الرجوع، فيكون أدعى لاستحضار هذا وعدم النسيان والبيان على أهمية الانتفاع بهذا المال.

النّصّ السّابع: خطبة قس بن ساعدة الإيادي

"خطب قس بن ساعدة الإياديّ بسوق عكاظ، فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَعُوا، مَنْ عَاشَ مَات، وَمَنْ مَاتَ فَات، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آت.. لَيْلٌ دَاج[1]، وَنَهَارٌ سَاْج، وَسَماءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَنُجُومٌ تَزْهَر[2]، وَبِحَارٌ تَزْخَر[3]، وجبال مرساة، وأرض مدحاة[4]، وأنهار مجراة، إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبَراً، وإِنَّ فِي الأَرضِ لَعِبَراً، مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهبُونَ وَلاَ يَرْجِعُون؟ أَرَضُوا فَأَقَامُوا، أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوا؟ يقسم قس بالله قَسَماً لا إثم فيه: إن لله ديناً هو أرضَى له، وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً."[5]

إنّ أوّل ما يشدّ انتباه القارئ في هذا النّصّ هو السّجع المكثّف الوارد فيه، فلا تكاد تخلو جملتان متتاليتان من سجع وارد بينهما؛ لتعزيز المعنى وتقويته، كما في قول الخطيب: (مات، وفات، وآت) وقوله: (داج، وساج، وأبراج)، وقوله: (تزهر، وتزخر)، وقوله: (مرساة، ومدحاة، ومجراة)، وقوله: (خبرا، وعبرا)، وغيرها من الأمثلة، وهذا السّجع أضفى جمالية على النّصّ، فمن عرف فائدة السجع في كلام العرب أدرك إضفاءه إيقاعًا صوتيًا جميلا تطرب له آذان السّامعين مّما يدفعها لتشد شدّا ولا تعد الكلام عدّا فلا يضرّها لو مُدّ الكلام مدًّا فيكتسب الكلام حلة بهية وطلة جلية يعرفها من ذاق أسلوبها.

يبدأ خطبته بنداء محذوفة أداته: **(أيها الناس)**، وقد حذفت الأداة لدلالة قرب المستمعين من نفس الخطيب وحبه لهم، فهو يحاول جذب انتباه الحضور له قبل أن يبدأ كلامه، ثمّ يتابع بقوله: **(اسمعوا وعوا)**، فهو لا يريد من الحضور سماعه فحسب، بل أن يسمعوا ويتدبّروا كلامه ويعوه، فهو يمهّد لأمر جلل سيقوله.

---

[1] داج: مظلم، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دجى).
[2] تزهر: تضيء وتتلألأ، **نفسه**، مادة (زهر).
[3] تزخر: تمتلئ وترتفع، **نفسه**، مادة (زخر).
[4] مدحاة: مبسوطة، **نفسه**، مادة (دحا).
[5] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 35/1.

وفي قوله: **(مَنْ عَاشَ مَات، وَمَنْ مَاتَ فَات)** يؤكّد قس بن ساعدة على حتميّة الموت، فهو أمرٌ لا مردّ له، وهنا أسلوب شرطيّ مكرّرة أداته (مَن)، كما يوجد طباق بين كلمتي (عاش، ومات)، وجناس ناقص بين كلمتي: (مات، وفات)، وفي قوله: **(كُلُّ مَا هُوَ آتٍ آت)**، وفي الفضاء الداخلي للجملة يؤكّد على تسليمه وإيمانه بالقضاء والقدر، بتكراره لفظة (آت).

وفي هذه العبارة: **(من عاش مات)** فيه طيّ لمشاهد العمر كلهّا، وكأن العمر لسرعته ما هو إلا لحظة، كقول الله تعالى: {لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارٖۚ}[1]، ولذا قيل: (الدنيا ساعة، فاجعلها طاعة)، فكان المعنى وكأنه بمجرد أن ذاق الحياة فعليه أن ينتظر طعم الموت.

وفي دلالة حرف الشين في قوله (عاش) معنى آخر وهو (الانتشار) فالانتشار في هذه الحياة مهما تنوعت وجهات الناس ما بين جمع مال، وزواج، ورحلات، ومشاريع، فكل هذه لا بد لها أن تستقبل الموتَ بل يفجؤها ويبغتها.

وقوله: **(ومن مات فات)** ففيه إشارة لندم مُبطَّن وعتاب مترتب عليه، فكأنّ الخطيب يقول: إذا ما مِتَّ فقد فاتك ما كان يلزم أن تنشغل فيه.

أمّا قوله: **(ليل داج)** فهو كناية عن هدوئه وظلمته، فقد ورد في لسان العرب: "الدُّجى: سَوادُ الليلِ مَعَ غَيْمٍ، وأَنْ لَا تَرَى نَجْماً وَلَا قمَراً، وَقِيلَ: هُوَ إِذَا أَلْبَسَ كلَّ شيءٍ ولَيْس هُوَ مِنَ الظُّلْمة، وَقَالُوا: لَيْلة دُجىً ولياٍل دُجًى، لَا يُجْمع؛ لأَنه مَصْدَرٌ وُصِفَ بِهِ، وَقَدْ دَجا الليلُ يَدْجُو دَجْواً ودُجُوّاً، فَهُوَ داجٍ ودَجِيٌّ، وَكَذَلِكَ أَدْجَى وتَدجَّى اللَّيْلُ"[2]

[1] **الأحقاف**، 35.
[2] ابن منظور، (دجا)

وقوله: **(ونهار ساج)** مشتق من الفعل (سَجَوَ)، وقد أُشكِل عليّ توظيف السجوّ للنهار مع كون المتبادر إلى الذهن أن اختصاص الليل أولى به، وقد بدا لي توجيهان: أمّا الأول، وهو كونه باعتبار الفعل سَجَوَ فله معنيان قال ابن فارس :" (سَجُوَ) السِّينُ وَالْجِيمُ وَالْوَاوُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى سُكُونٍ وَإِطْبَاقٍ.."[1] أمّا المعنى الأول، وهو: التغطية، فقد نقل الازهريّ في تهذيبه أنّه قال:" قَالَ الأصمعيّ: سُجُوّ اللَّيْل: تغطيته النَّهَار، مثل مَا يُسَجَّى الرجل بالثوب.."[2] وأما باعتبار السكون، فقد قال ابنُ فارس :"يُقَالُ: سَجَا اللَّيْلُ، إِذَا ادْلَهَمَّ وَسَكَنَ.."[3]

ونظرة فاحصة في كلا المعنيين نجد أنّ معنى التغطية هو باعتبار ما كان وأنّ معنى السكون هو باعتبار ما سيكون وهذا هو المجاز المرسل بعينه وهذا هو–والله أعلم– سرّ توظيف الشاعر للفظة السجوّ للنهار مع كونها تستعمل عادة لليل؛ لأنّ الأصل في الليل الهدوء والسكون والأصل في النهار هو الاجتماع والتغطية فناسب توظيف معنى السجوّ في النهار باعتبار ما كان؛ لأنّ العادة أن الاجتماع الذي هو مظنّة الصخب أن يعقبه سكون، والعكس كذلك.

وأما المعنى الثاني فهو كون الفعل من باب الأضداد فقد يُستعمل للكلمة وضّدها في آنٍ واحد؛ لأنّ (الصخب والسكون) لا يجتمعان عادة، فلما كان الفعل ذاتُهُ يوظّف لمعنيين متضادّين كان من الأضداد وهذا توجيه له حظّ من النظر وأميلُ إلى الرأي الأول ولعلّه الأدق في ذلك.

وفي هاتين الجملتين نجد قس بن ساعدة يتأمل في الكون، من عتمة الليل إلى نور النهار، فكلّ ليل يتبعه نهار، وكل ظلام يتبعه نور.

---

[1] **مقاييس اللغة**، (سجو)

[2] **تهذيب اللغة**، (سجو)

[3] **مقاييس اللغة**، (سجو)

ويتابع تأمّله بالكون فيقول: **(وَسماءٌ ذَاتُ أبْرَاجٍ)** وهذا يذكّرنا بقوله تعالى: {وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ (1)}[1]، "وَالْقَسَمُ بِالسَّمَاءِ بِوَصْفِ ذَاتِ الْبُرُوجِ يَتَضَمَّنُ قَسَمًا بِالْأَمْرَيْنِ مَعًا لِتَلْتَفِتَ أَفْكَارُ الْمُتَدَبِّرِينَ إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ وَهَذِهِ الْأَحْوَالِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَسَعَةِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ إِذْ خَلْقُهَا عَلَى تِلْكَ الْمَقَادِيرِ الْمَضْبُوطَةِ لِيَنْتَفِعَ بِهَا النَّاسُ فِي مَوَاقِيتِ الْأَشْهُرِ وَالْفَصْلِ"[2].

فقوله: (وسماء) تشير إلى أن الناظر أول ما يرنو إليه بصره في التأمّل إلى السماء لا الأرض، لهذا بدأ بالسماء فأخبر عنها أنّها ذاتُ أبراج وهي النجوم التي تزيّنها، أو منازل النجوم التي تسبح فيها وناسب هذا السياقَ أن يعطفه بذكر النجوم، فقال: (ونجوم تَزهَر) والزهر هو الحسن والضياء، وهذا واضح في النجوم في الليل بل جعلها الله هداية للمسافرين، فقال: {وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ 16)}[3].

وقد وردت عدّة جمل تندرج تحت موضوع التّقديم والتّأخير، فقد حدث تقديم للفاعل على فعله في قول الخطيب: **(نجوم تزهر)**، وقوله: **(بحار تزخر)**، ولعلّ الدّاعي لهذا التّقديم هو الاعتبار، للتّأكيد على أهمّيّة المتقدّم.

وقد حدث تقديم وتأخير في قول الخطيب: **(إنّ لله دينا)** فقد تقدّم خبر إنّ (الجار والمجرور) على اسمها، وقد روعي في تقديم خبر إنّ لدلالة الاختصاص ردّا على من يدين بدين غير الله، وما أُلِفوهُ والذي ينبغي أن يُقدّم هو دين الله لا دين الناس فاقتضى المقام الاختصاص لذلك، ونكر (الدين) تعظيما له ورفعته على جميع الأديان.

---

[1] **البروج**، 1.
[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 30/ 237-238.
[3] **النّحل**، 16.

كما تقدّم شبه الجملة من الجار والمجرور (من الأمر) على المفعول به (منكرًا) في قول قس بن ساعدة: **(إنكم لتأتون من الأمر منكراً)**، وفائدة هذا التّقديم هو الاعتبار، للتّأكيد على أهمّية الأمر، وهو اتّباعهم لدينهم، ويؤكّد على أنّه منكر، وأنّ دين الله أحقّ أن يتّبعوه.

ويختم قس بن ساعدة خطبته بأبيات شعريّة يقول فيها:

"في الذّاهبين الأوّلين من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر

لا يرجع الماضي إليّ ولا من الباقين غابر[1]

أيقنتُ أنّي لا محا لة حيث صار القوم صائر"[2]

في البيت الأوّل ورد تقديم الخبر على المبتدأ في قول قس بن ساعدة: **(في الذّاهبين الأوّلين من القرون لنا بصائر)** فشبه الجملة (في الذّاهبين) خبر مقدّم، والمبتدأ المؤخّر (بصائر) لأجل القافية والجرس الموسيقي، كذلك فإنّ شبه الجملة (لنا) يصح أن يكون خبرًا ثانيًا مقدّمًا للمبتدأ نفسه (بصائر)، ويمكن تقدير الجملة بـ: (بصائر) كائنة لنا أو بصائر كائنة في الذاهبين وكلاهما متّجه.

وقوله: (من القرون) هنا (مِن) بيانية لبيان أن الذاهبين الأولين هم القرون الأوائل كلهم ولا يصحّ أن نقول (من) تبعيضية فيلزم منه بقاء بعض القرون إلى يومنا هذا من العصر السابق.

[1] غابر: مقيم، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غبر)
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 36/1.

وفي قوله: (بصائر) ملمس لطيف لدلالة حرف الصاد فيها، فهذا الحرف مُوحي بالوضوح فقلّما كلمة حوت حرف الصاد إلا كان للوضوح فيها نصيب وافر، كقولنا: صبح وصاحب وقصاص حيث أنّ القصاص فيه وضوح الحق وظهوره وأما الصاحب ففيه ظهور الصدق وإخلاصه وأما الصبح ففيه ظهور الأشياء وبيانها.

أمّا البيت الثّاني: **(لمّا رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر)** ففيه استعارة مكنية، في كلمتي الموارد والمصادر، فهي لا تكون للموت، إنّما تكون للشّيء المحسوس، كذلك نجد الطّباق بين هاتين الكلمتين (الموارد والمصادر)، فهما ضد بعضهما من ناحية المعنى، وفي هذا البيت تقدّم خبر ليس (للموت) على اسمها، وهذا التّقديم يفيد التأكيد على عدم وجود المصادر للموت. ونراه قال: (مواردًا) بتنوينها للضرورة الشعرية حتى يستقيم وزن البيت.

وفي البيت الثّالث **(ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر)** وردت استعارة، فقد شبّه الموت بمسيطر على النّاس كبيرهم وصغيرهم يجبرهم على المضيّ إليه، وهي استعارة مكنيّة كسابقتها، وقد ورد طباق بين كلمتي (الأكابر والأصاغر) إذ إنّهما كلمتان متضادّتان بالمعنى، وفي قوله: (الأكابر والأصاغر) كناية شمولية عن جميع الناس سواء كانوا من علية القوم أو أرذلها، أو لا من هؤلاء ولا من هؤلاء.

أمّا في البيت الرّابع **(لا يرجع الماضي إليّ ولا من الباقين غابر)** فقد شبّه الماضي بكائن حي يذهب ويرجع، وحذف المشبّه به (الكائن الحي) وأبقى على شيء من لوازمه (يرجع)، فهي استعارة مكنيّة.

وفي البيت الأخير **(أيقنتُ أنّي لا محالة حيث صار القوم صائر)** كناية عن إيمان قس بن ساعدة بالموت، وأنّه مصير كلّ شخص حيّ، وجاء في البيت تقديم (لا محالة) على (صائر) والأصل أن يقول: إنّي صائر حيث صار القوم لا محالة، وهذا التّقديم والتأخير جاء لدعم إيمانه بحتميّة الموت على كلّ البشر.

وفي قوله: **(بصائر، ومصادر، وموارد، وأصاغر، وأكابر..)** صيغة منتهى الجموع التي تفيد الكثرة الكاثرة وهي مناسبة في سياقنا هذا سياق التذكير بكثرة السابقين الذين خطفهم الموت وغادروا الدنيا بأيدٍ فارغة.

وتعدّ الأبيات الشّعريّة التي تلت الخطبة النّثريّة، جاءت تلخيصًا لما ورد من أفكار في الخطبة توكيدًا للمعاني، علاوة على إظهار براعة قس الأدبيّة، فهو ناثر وشاعر.

ومن الملاحظ أن أفكار قس بن ساعدة تشبه أفكار المأمون الحارثي الواردة في خطبته السابقة، فكلاهما يدعو إلى التوصل إلى الله والإذعان بوحدانيته، فاتبعا مفتاح الوصول إلى تلك الحقائق الفطرية والعلمية عن طريق السير، والنظر، والتأمل بالأرض وما عليها، وبالسماء وما فيها من نجوم وكواكب تسير وفق نظام منظم، وتتحرك في مجراها المحدد، معتمدة على مُسيّر لها وهو خالقها، كذلك ينتقل الخطيبان إلى الحديث عن الموت الذي لا مفر منه ولا رجعة إلى الحياة الدنيا بأدلة محسوسة لا اختلاف فيها بأسلوب مقنع، وهذا الطريق الأمثل للدعوة والنصح والإرشاد، ونجد مثل هذا الأسلوب قد ورد كثيرا في القرآن الكريم، كما هو في قوله تعالى: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17)وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18)وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19)وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)}[1] ، ففي هذه الآيات الكريمة يخص الله سبحانه وتعالى الإبل من بين مخلوقات الله الحية، ويجعل النظر إلى كيفية خلقها أسبق من التأمل في كيفية رفع السماوات والأرض، ونصب الجبال، وتسطيح الأرض، فيدعو إلى أن يكون النظر والتأمل في هذه المخلوقات مدخلا إلى الإيمان الخالص بقدرة الله تعالى وبديع صنعه.

[1] **الغاشية**، 17-20.

الفصل الثاني: تحليل نماذج من وصايا العصر الجاهليّ

- النّص الأوّل: وصيّة أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس
- النّص الثّاني: وصيّة أكثم بن صيفي لطيء
- النّص الثّالث: وصيّة ذي الإصبع العدوانيّ لابنه أسيد
- النّص الرّابع: وصيّة زهير بن جناب الكلبيّ
- النّص الخامس: وصيّة حصن بن حذيفة لبنيه

الفصل الثاني: تحليل نماذج من وصايا العصر الجاهليّ

درس هذا الفصل أمثلة تطبيقيّة من الوصايا في العصر الجاهليّ، وحلّل ما فيها من بلاغة، وكان ذلك بذكر نص من وصيّة معيّنة ثمّ تحليلها وبيان ما فيها من بلاغة على الأصعدة كافة، كالاستعارات، والتشبيهات، والكنايات، والمجازات، والحذف، والتقديم والتأخير، والالتفات، والشكل الفني، على أن يوضع نص الوصيّة الكامل في الملحقات.

وطبق هذا الفصل على خمسة نصوص من الوصايا الجاهليّة، وهي: وصيّة أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس، ووصيّة أكثم بن صيفي لطيء، ووصيّة ذي الإصبع العدوانيّ لابنه أسيد، ووصيّة زهير بن جناب الكلبيّ، ووصيّة حصن بن حذيفة لبنيه.

النّصّ الأوّل: وصيّة أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس

يمكن أن نعدّ هذه الوصيّة من أهمّ الوصايا الّتي تقدّمها الأم لابنتها قبيل زفافها، فتعلّمها فيها كيف تكون الطريقة المُثلى للتّعامل مع الزّوج، كي تستمرّ الحياة المشتركة بينهما أطول وقت ما لم تخالف النّصائح الواردة في الوصيّة، ويمكن عدّ هذه النّصائح صالحة لكلّ زمان ومكان، وهي دستور خالد لكل أم، ولكل بنت في مرحلة الاستعداد للزواج.

تقول أمامة في وصيّتها: " **"أي بنيّة: إنّ الوصيّة لو تُركت لفضل أدب، تركت لذلك منك، ولكنّها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزّوج لغنى أبويها، وشدّة حاجتهما إليها، كنت أغنى النّاس عنه، ولكنّ النّساء للرّجال خُلقن، ولهنّ خُلق الرّجال"**[1].

تبدأ الأم بإخبار بنيتها الحبيبة عن هدفها من هذه الوصيّة، وهو أنّها مجرّد تذكرة خشية النّسيان، وإعانة للعاقل، وليست تأديبًا لها؛ لأنّها تبلغ منزلة رفيعة من الأدب. واستهلت وصيتها بالأسلوب الإنشائيّ: (أي بنيّة) وهو نداءٌ للتّنبيه، وهذا يسمى حسن الاستهلال، بدأته بـ "أي" تقربًا وتحببًا من الأم لابنتها؛ لإظهار الحنان وقمة الدلال، وبهذا يساعد الابنة على تقبّل الوصيّة بشكل أكبر، ممّا يحثّها على الأخذ بالوصيّة والعمل بمقتضاها، فالأم لم تستعمل أسلوب الأمر والإجبار الّذي تنفر منه النّفس، بل تتبعت الأسلوب الخبري الذي سدّ مسدّ الأسلوب الإنشائيّ وزيادة، واستخدمت لفظة (بنيّة) بالتصغير إذ يوحي بعطف الأم وحنانها وحبها ودلالها، فابنتها مهما بلغت من السن فهي بحاجة إلى النصح والإرشاد، ثمّ تبيّن لها أنّ الزّواج طبيعة وضرورة، ولا يمكن الاستغناء عنه، ولو كان الأبوان ثريين، ولو كانا في حاجة إلى ابنتهما، فهذه سنّة الحياة.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 296/1.

وبدأت الأم بنقل خبرتها بالحياة إلى ابنتها، ووصيتها بهذه المقدمة لتتلطف مع ابنتها في عرض النصيحة، وتجذب ذهنها لقبول النصائح التي تمليها عليها، حتى تحتل مكانة عالية في قلب زوجها من أجل أن تقربها إليه عن طريق الاحترام المتبادل، لتكوين أسرة مثالية، فالأم خبيرة بواجبات الزوج على زوجته، ولم تتناول واجبات الزوجة على زوجها، فهذا الدور يجب أن يتمّ من طرف أهله.

وقد ورد في هذا النّص عدّة كنايات، منها قول أمامة: **(إنّ الوصيّة لو تُركت لفضل أدب، تركت لذلك منك)** وهذا كناية عن صفة مؤكّدة بإنّ، وتلك الصّفة هي حسن تربيتها وأدبها، فلو كان هدف الوصيّة التّأديب لم تكن لتفيد هذه البنت، ولكانت الأمّ تركت عناء الوصيّة واكتفت بأدب ابنتها، وتوضح أمامة الهدف من وصيّتها بقولها: **(ولكنّها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل)**، فالهدف الّذي يجعل أمامة توصي ابنتها هو تذكيرها إن كانت ناسية، وإعانتها على ما ستواجه في أيّامها المقبلة، ومجيء (تذكرة) مع (الغافل)؛ لأنّ الغافل يحتاج إلى إيقاظه من غفلته، وجاءت (معونة) مع (العاقل)؛ لأنّ العاقل يكسب مزيدًا من المعرفة عند سماع النّصيحة من غيره، وآثرت أسلوب الاستدراك منعًا للفهم الخاطئ، وقد جمعت في هذه الجملة بين الغافل وضدّه؛ أي العاقل، مستعملة أسلوب الطّباق.

كذلك نجد كناية أخرى في قولها: **(النّساء للرّجال خُلقن، ولهنّ خُلق الرّجال)** فهنا تلويح كنائيّ بأنّ الزّواج فطرةٌ فطر الله النّاس عليها، كما في قوله تعالى: {وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (21)}[1]، كما أنّ الزّواج ضرورة لاستقامة الحياة، وهو رغبة مشتركة بين الرّجل والمرأة، وكل واحد منهما مكمل للآخر، لتكوين أسرة وأبناء وحفدة.

[1] **الرّوم**، 21.

وقد ورد في النّصّ أسلوب السّجع الّذي يُضفي جرسًا موسيقيًا يريح السامع، ويشد انتباهه، وهو محبب للآذان، وليس متكلّفًا، ومنه قولها: **(ولكنّها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل)** ففي كلمتي الغافل والعاقل سجع.

كما ورد في النّصّ أسلوب الطّباق، ومن أمثلته قول أمامة: **(ولكنّ النّساء للرّجال خُلقن)**، فالنّساء والرّجال كلمتان متضادّتان، وهذا الطّباق يفيد العموم والشّمول من الجنسين، وهو طباق بين اسم واسم، وقولها: **(ولكنّها تذكرة للغافل)** فبين كلمتي تذكرة والغافل طباق بين اسم واسم، والغرض منه إبراز المعنى وتوضيحه وتقويته بالتّضاد.

ومن الأساليب الّتي استخدمتها الأم في هذا النّصّ أسلوب التّقديم، ومن هذا التّقديم قولها: **(ولكنّ النّساء للرّجال خُلقن، ولهنّ خُلق الرّجال)** والأصل في الجملة الأولى أن تكون: خلقت النّساء للرّجال، فتمّ تقديم الجار والمجرور "للرّجال" على كلمة خلقن، والأصل في الجملة الثّانية أن تكون: خلق الرّجال لهنّ، فقد تقدّم الجار والمجرور "لهنّ" على جملة خلق الرّجال، وهذا التّقديم في الموضعين يفيد أنه لا أفضلية للزوج على الزوجة ولا للزوجة على الزوج، فكلاهما متمم للآخر، ولكل واحد منهما مسؤولية في تكوين الأسرة المثاليّة، ولكل –أيضا– حقوق وواجبات، والتقديم والتأخير في الجملتين يفيد أسلوب القصر، والغرض منه إثارة الانتباه وتأكيد لقيمة الزواج، إذ يجب أن يكون رغبة مشتركة بين الرّجل والمرأة، وبين الجملتين من المحسنات اللفظية ما يسمى بالعكس والتبديل، وواضح الحذف في (خلقن وخلق) لبناء الفعلين للمجهول، وسبب حذف الفاعل الأصلي وهو لفظ الجلالة (الله)؛ لأنه معلوم، فلا داعي لذكره، وخلقن بمعنى: وُجدن.

كذلك فقد استخدمت أمامة في النّصّ أسلوب الشّرط، وذلك في قولها: **(لو أن امرأة استغنت عن الزّوج لغنى أبويها، وشدّة حاجتهما إليها، كنت أغنى النّاس عنه)** فأداة الشّرط في هذه الجملة هي "لو"

وهي من أدوات الشّرط غير الجازمة، وجملة الشّرط هي "امرأة استغنت عن الزّوج لغنى أبويها، وشدّة حاجتهما إليه" أمّا جواب الشّرط فيكمن في قولها: "كنت أغنى النّاس عنه".

وتواصل أمامة قائلة في وصيّتها: " **أيْ بُنَيّة إنكِ فارقتِ الجوَّ الذي منه خرجتِ، وخلَّفتِ العُشَّ الذي فيه درَجتِ، إلى وَكْرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه، فأصبَحَ بملكه[1] عليكِ رقيباً ومليكاً، فكوني له أَمَةً يكنْ لكِ عبدا وشيكا**"[2].

ورد في هذا النّصّ عدّة تقديمات للجار والمجرور، كما في قول أمامة: **(الّذي منه خرجتِ)** فقد تقدّم الجار والمجرور "منه" والأصل أن تكون: الّذي خرجت منه، كذلك في قولها: **(الّذي فيه درجتِ)** تقدّم الجار والمجرور "فيه" والأصل أن تكون: الّذي درجت فيه، وآثرت هذا التّقديم والتّأخير لبيان أهمية ومكانة ما ألفته في مكان نشأتها وترعرعها فيه، فهي تحن إلى حياتها وما كان فيها قبل الزواج، وجاء مراعاة للموسيقا وطلبا للمحسن اللفظي وهو السجع.

وقد وردت في هذا النص عدّة استعارات، منها قول أمامة: **(وخلَّفتِ العُشَّ الذي فيه درَجتِ، إلى وَكْرٍ لم تعرفيه)**، ففي لفظة "العش" استعارة تصريحيّة، إذ شبّهت بيت والدها بالعش، وحذفت المشبّه وهو بيت والدها، وصرّحت بالمشبّه به وهو العش، ووجه الشّبه بينهما هو الاستقرار والرّاحة والحب الّتي تشعر بهما في بيت والدها، والبيت والعش فيهما يشعر المخلوق بالدفء والحب والحنان وبوجود مسؤول يتحمل أعباء الحماية وتوفير الحياة ومستلزماتها، فارتباطها ببيت أبيها يحاكي ارتباط الطائر بعشه ووكره، كما تشعر الفراخ بالأمن والأمان والراحة في الإقامة في العش الّذي تعيش فيه.

وفي لفظة "وكر" استعارة تصريحيّة كذلك، إذ شبّهت بيت زوجها بالوكر، وحذفت المشبّه وهو بيت زوجها، وصرّحت بالمشبّه به وهو الوكر، ووجه الشّبه بينهما هو الاستقرار، فالوكر بالغالب يكون في جبل

[1] أملكه إياها: زوجه، فملكها مُلكًا، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ملك).
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 296/1.

لا تصل إليه الأيدي، فهو دائم ومستقر، على عكس العشّ الّذي يكون معلّقًا في الشّجرة، فلا يدوم طويلًا، فالعش عبرت به عن بيت الأهل والوالد، بينما منزل الزوج عدلت عنه بمسمى آخر وهو الوكر.

وقد عرّفت أمامة العشّ بينما نكّرت الوكر؛ لأنّ ابنتها تعرف العش أو بيت والدها الّذي تعيش فيه، بينما تجهل بيت زوجها (الوكر) كما أسمته أمّها، وكذلك نكرت القرين؛ لأنها تجهله ولم تعاشره بعد.

ونجد سجعًا في قولها: **(إنكِ فارقتِ الجوَّ الذي منه خرجتِ، وخلَّفتِ العُشَّ الذي فيه درَجتِ)** فالسّجع هنا بكلمتي خرجتِ ودرجتِ، كما أنّ بين هاتين الكلمتين يوجد جناس، الغرض منه أن تأنس الأذن لسماعه، وإحداث موسيقا عذبة، وفي قولها: **(إلى وَكْرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه)** فبين كلمتي تعرفيه وتألفيه سجع كذلك.

واستعملت الكناية في قولها: **(فأصبح بملكه عليكِ رقيبًا ومليكًا)**، فالمليك هنا كناية عن القوامة للزّوج.

وقد ورد تشبيه في قولها: **(كوني له أمة، يكن لك عبدًا وشيكًا)**، إذ شبّهت الزّوجة بالأمة، والزّوج بالعبد، والمشترك بينهما الطّاعة؛ أي بذل الجهد من الزّوج والزّوجة لإرضاء كلّ واحد الآخر، كما تكون الأمة أو العبد كلا منهما حريصا على إرضاء سيّده، وتندرج هذه الجملة تحت الكنايات كذلك؛ إذ هي كناية عن بذل الجهد لطاعة الآخر وإرضائه.

وفي آخر جزء من الوصيّة تقول أمامة: "**يا بُنَيّة: احْمِلي عنِّي عشر خِصال تكن لكِ ذخْراً وذِكرا: الصحبة له بالقناعة، و المعاشرة بِحُسن السمع والطاعة، و التعهد لموقع عينيه، و التفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشَم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدوّ عنه عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء**

على العيال والحشم جميل حسن التدبير، ولا تفشي له سرا، ولا تعصي له أمرا، فإنكِ إن أفشيتِ سره لم تأمني غدره، وإن عصيتِ أمره أَوْغَرْتِ صدره، ثم اتّقي مع ذلك الفرح إن كان تَرِحاَ، والاكتئاب عنده إن كان فَرِحاَ، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظاما، يكن أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة، واعلمي أنك لا تَصِلِين إلى ما تُحبين حتى تُؤْثِرِي رِضاه على رِضاك، وهواه على هواك، فيما أحببتِ وكرِهتِ والله يخير لك[1] ".

وفي هذا المقطع يظهر أسلوب التوشيع بذكر العدد **(عشر خصال)**، ثم تعداد هذه الخصال وهو من أحد مظان الإطناب، وقد وردت الاستعارة في قولها: **(احملي عني عشر خصال)**، فهذه استعارة مكنيّة، إذ شبّهت الخصال بأشياء مادية تُحمل، وفي قولها: **(الخصلة الثانية من التكدير)** استعارة مكنيّة أخرى، فصوّرت النّوم وكأنّه ماء يُعكّر.

ومن الأساليب الّتي استخدمتها أمامة في هذا النّصّ أسلوب الطّلب والتّعليل، وتنوعت صيغه بين نداء **(يا بنية)**، وهذا النّداء مكرّر للمرّة الثّانية، والغرض منه التّوكيد وجذب الانتباه، وأسلوب الأمر: **(احملي عني عشر خصال، واتقي مع ذلك الفرح، وكوني، واعلمي...)**، والغرض منه النّصح والإرشاد، وأسلوب النهي: **(ولا تفشي، ولا تعصي)** والغرض منه النّصح والإرشاد كذلك، ثمّ تسوق بعده تعليلًا مناسبًا له، وهذه الصيغ الإنشائية الطلبية في فن الوصايا تحمل معنى النصح والإرشاد غالبًا، كما في قولها: **(ولا تفشي له سرا ... فإنكِ إن أفشيتِ سره لم تأمني غدره)**، فقد طلبت الأم من ابنتها ألا تفشي أسرار زوجها، ثمّ تسوق تعليلًا لطلبها وهو أنّها إن أفشت سرّه فلن تأمن غدره وخيانته لها، وهذه نصيحة قيّمة تقدّمها الأم لابنتها،

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 1/296-297.

فإن حافظت على بيتها وأسراره، فسيظلّ بيتها قائمًا على سند قويّ لا يهزّه أحد، أمّا إن أفشت أسراره فسيكون واهنًا كبيت العنكبوت معرّضًا للهدم بأيّ وقت.

كذلك النهي في قولها: **(ولا تعصي له أمرا ... وإن عصيتِ أمره أَوْغَرْتِ صدره)** فتطلب الأمّ من ابنتها ألا تعصي أمر زوجها، فإن عصته ملأت قلبه حقدًا وضغينة، فطاعة زوجها يضمن لها بقاء حبّها في قلبه، فالأم تفسّر ما تطلبه من ابنتها وتبيّن عواقب عدم فعلها لتلك الطّلبات، فكأنّ الأم تخيّر ابنتها بين أن تستمرّ حياتها مع زوجها بالشّكل الصّائب، أو أن تنهي حياتها الزّوجيّة بعدم اتّباع أوامر والدتها، وهذا ما يخشى عقباه.

وفي مواضع أخرى تستخدم الأمّ الطّلب، ثمّ تعلّله لبيان ما فيه من عواقب حسنة، كما في قولها: **(والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير)** فهذان طلبان مع تعليلهما، الأوّل الاحتفاظ ببيته وماله، وتعلّله بقولها: إنّ الاحتفاظ بالمال حسن التّقدير، فعلى الزّوجة الجيّدة أن تحافظ على مال زوجها وبيته، وأن تتيقّن أنّ هذا المال راجعٌ لها ولطلبات البيت والأولاد، فيجب المحافظة عليه، وعدم إسرافه على ما لا يلزم من أمور.

والطّلب الثّاني: الإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، وتعليله قولها: إن الإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التّدبير، فيجب عليها أن تعتني بزوجها ويشمل ذلك ملابسه وطعامه وكلّ ما يتعلّق به، ثمّ حشمه وعياله إن توفّر لديه، بتقديم الطّعام لهم ومساعدتهم على قدر ما تستطيع، فهي إن قامت بذلك تحصّلت على جميل حسن التّدبير، فكانت امرأة مدبّرة واعية، وبهذا نوّعت أمامة أساليب الطّلب مع التعليل مبينة عواقبه وحسناته.

وقد ورد أسلوب التّقديم والتأخير في قولها: **(احفظي له خصالًا عشرًا)** فقد تقدّم الجار والمجرور "له" والأصل أن تقول: احفظي خصالا عشرًا له، وهذا التّقديم للجار والمجرور جاء بهدف التّوكيد على الفكرة، وبيان أهمّيّة المتقدّم، وهو الزوج، على غيره من باقي الناس، وتخصيص المعنى بالطّلب الوارد.

وفي قول أمامة: **(والتعهد لموقع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشَم منك إلا أطيب ريح)**، وجدت الكناية في قولها: (موقع عينه)، فموقع عينيه كناية عن الاعتناء بمظهرها ونظافة بيتها، فهذا هو ما يراه الزّوج بعينه من زوجته وبيته، وقولها: **(موضع أنفه)** كناية عن الاعتناء برائحة النظافة مثل دلالة موقع العين، فجمعت أمامة في نصيحتها ما بين موقع العينين وموضع الأنف، لاكتمال الصّورة الجميلة باكتمال المنظر بجماله وطيب رائحته، فتخيل أن المكان جميل والرائحة كريهة، فلا يكون مريحًا، وإذا كان المنظر قبيحًا والرائحة طيبة، فالجمال لا يكتمل، فبجمال المكان ونظافته يحبّ الزّوج مجالسة زوجته لأطول وقت وهو مرتاح بصحبتها.

وفي قولها: **(ثم اتّقي مع ذلك الفرح إن كان تَرِحاَ، والاكتئاب عنده إن كان فَرِحاَ، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير)** كناية عن صفة المشاركة بين الزّوجين، وهذه المشاركة معنويّة، فهي مشاركة المشاعر سواء مشاعر الفرح أو الحزن، فعلى الزّوجة أن تفرح لفرح زوجها وتبدي الحزن لحزنه، كي لا تكون مقصّرة بحقّه إن فرحت بحزنه ولا تكدّر فرحه بحزنها، فهما إن تشاركا المشاعر كان خيرًا لهما، وفي مراعاة الإحساس بالآخر احترام وتقدير له.

ومن الملاحظ تعدد المحسنات المعنوية في هذه العبارة من المزاوجات والثنائيات كالمقابلة، فذكرت الفرح ثم الترح لتقابل الجملة الثانية بالتضاد فاختارت الاكتئاب ثم أردفته بالفرح؛ تقوية للمعنى وتوضيحًا له، وكذلك انتقت محسنا معنويا ولفظيا في قولها: (ترحا وفرحا) ففيهما ما فيهما من التضاد والجناس والسجع وحسن الموسيقا.

وقد وردت عدّة تشبيهات في وصيّة أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس عند استعدادها للزواج، ومن تلك التشبيهات قولها: **(والتعهد لوقت طعامه ... فإنّ حرارة الجوع ملهبة)** فالتّشبيه في هذه الجملة هو: حرارة الجوع ملهبة، إذ تشبّه الجوع وتأثيره على الإنسان باللّهب الحارق، وهذا التّشبيه بليغ إذ حذفت منه أداة التّشبيه ووجه الشّبه معًا، وتأتي هذه الجملة ردًا على ما سبقها إذ أوصتها بالتّعهّد لوقت طعامه، ثمّ تذكر سبب اهتمامها بطعامه، وهو أنّ حرارة الجوع ملهبة، فأتت بالسّبب المقنع الّذي يجعلها لا تهمل طعام زوجها، وإعداد الطعام الذي يميل إليه في وقت جوعه.

أما الاستعارة فقد وردت في قول أمامة: **(والهدوّ عنه عند منامه... تنغيص النوم مغضبة)**، ففي قولها "تنغيص النّوم" استعارة مكنيّة، إذ شبّهت النّوم بماء يعكّر، فحذفت المشبّه به وهو الماء المعكر وأتت بصفة له وهو التّنغيص، فشارب الماء المعكّر قد يغصّ فيه ولا يروى منه، ووجه الشّبه هو عدم الارتياح الّذي يؤدّي إلى الغضب، ولعلّ الغرض من هذه الصّورة الاستعاريّة هو التّجسيم والتّشخيص زيادة في التبيين والتوضيح.

وفي الجملتين: **(التعهد لوقت طعامه.. والهدوّ عند منامه)** كناية عن الحرص على توفير كل سبل الراحة للزّوج، وتمام العناية بسبل راحته.

أمّا المجاز المرسل فلم يكن له ظهور واسع في هذه الوصيّة، فلم أقف إلا على مثال واحد له، يتجلّى في قول أمامة: **(وإن عصيتِ أمره أَوْغَرْتِ صدره)**، ففي لفظة "صدره" مجاز مرسل، إذ عبّرت بلفظة الصّدر وأرادت القلب، فهذا المجاز علاقته المحليّة أو المجاورة، فوغر الصدر يحمل عدّة معانٍ ودلالات منها: الغضب، والحزن، وقد دلّ على ذلك لفظة أوغرت المذكورة في المثال.

ومن السّجع الوارد في هذا النّصّ قول أمامة: **(الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بِحُسن السمع والطاعة)** فالسّجع كان بين كلمتي القناعة والطّاعة، وقولها: **(فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشَم منك**

إلا أطيب ريح) فبين قبيح وريح سجع أيضًا، وقولها: **(فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة)** فالسّجع تولد من كلمتي ملهبة ومغضبة، وغيرها الكثير من الأمثلة الواردة على السّجع، ولعلّ هذا الأسلوب يسهّل حفظ الوصيّة على المتلقّي، وهو سجع تطرب له الآذان، ويحدث جرسا موسيقيا يريح النّفس، ووفقت الأم باختيار الكحل لتجميل العينين **(والكحل أحسن الحسن)** فهو من المكياج الشّرعي المباح علاوة على أنه علاج وشفاء للعينين.

كما ورد في الوصيّة أسلوب التّرادف بين الكلمات، فقد وردت كلمات بأكثر من صيغة لها المعنى نفسه، مثل قول أمامة: (فارقت، وخلفت)، وقولها: (موقع، وموضع).

فهذه الوصيّة، كما تبيّن سهلة الألفاظ، وقويّة المعاني، كما أنّها ذات عبارات سلسة، وقد تنوّع أسلوبها بين الخبر والإنشاء، وقلّت الصّور الخياليّة فيها؛ لأنّ الوصيّة تعتمد على الإقناع العقليّ أكثر ممّا تعتمد على إثارة العاطفة، وقد تسلسلت أفكارها وترابطت لتقوّي الموضوع الأساس للوصيّة، وقد ظهرت فيها موسيقا النّثر من خلال السّجع والطّباق والجناس والمقابلة الواردة بشكل ملحوظ في الوصيّة.

النّصّ الثّاني: وصيّة أكثم بن صيفي لطيء

قال أكثم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طيء: "**أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، وإياكم ونكاح الحمقاء، فإن نكاحها غرر وولدها ضياع، وعليكم بالخيل، فأكرموها فإنها حصون العرب، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها، فإن فيها ثمن الكريمة ورقوء الدم وبألبانها يتحف الكبير، ويغذى الصغير ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت، ولن يهلك امرؤ عرف قدره، والعدم عدم العقل لا عدم المال، ولرجل خير من ألف رجل، ومن عتب على الدهر طالت معتبته، ومن رضى بالقسم طابت معيشته، وآفة الرأي الهوى، والعادة أملك، والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى، والدنيا دول، فما كان لك أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك، والحسد داء ليس له دواء، والشماتة تعقب، ومن ير يوما ير به، قبل الرماء تملأ الكنائن**[1]**، الندامة مع السفاهة، دعامة العقل الحلم، خير الأمور مقبة الصبر، بقاء المودة عدل التعاهد، من يزر غبا يزدد حبا، التغرير مفتاح البؤس، من التوانى والعجز نتجت الهلكة، لكل شيء ضراوة، فضر لسانك بالخير عي الصمت أحسن من عي المنطق، الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت، كثير النصح يهجم على كثير الظنة، من ألحف في المسألة ثقل، من سأل فوق قدره استحق الحرمان، الرفق يمن والخرق شؤم، خير السخاء ما وافق الحاجة، خير العفو ما كان بعد القدرة**"[2].

تحوي هذه الوصيّة على الكثير من الحكم والمواعظ والأمثال، وكان أكثم بن صيفي أكثر الخطباء ضربًا للأمثال، ساقها بإيجاز ووضوح، ولكلّ نصيحة دلالات عديدة، وهي قويّة المعاني وقصيرة العبارات.

[1] الكنائن: جمع كنانة، وهي وعاء السهم، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كنن)
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 1/305-306.

وقد تشكلت هذه الوصية من عدّة صور بلاغية جميلة، تمثّلت في الكنايات والاستعارات والتّشبيهات والمجازات، فمنها قول أكثم: **(قبل الرّماء تملأ الكنائن)** وهذا "يُضرب مثلًا للاستعداد للأمر قبل حلوله"[1] وفيه شبّه الرّجل الّذي يستعدّ للرّمي، فيملأ جعبته سهامًا، والمثل هو المشبه به، وهو استعارة تمثيلية.

وفي قوله: **(كثير النّصح يهجم على كثير الظّنّة)** هذا مثلٌ كسابقه ومعناه "أنك إذا بالغت في النّصح لصاحبك ظنّ أنّك تريد حظاً لنفسك"[2]، فهذه استعارة تمثيلية أخرى، وهكذا جميع الأمثال الواردة في هذه الخطبة تكون من قبيل الاستعارة التمثيلية.

وفي قول أكثم: **(فإنّ فيها ثمن الكريمة)** كناية عن مهرها، فكان الرّجل في الجاهليّة يعين المهر بعدد من النوق أو غيرها من الأنعام. وفي قوله: **(ورقوء الدم)** كناية عن دفع دية لأهل المراق دمه، وكذلك كنى بالقسم عن القدر في قوله: **(رضي بالقسم)**.

وقد وردت عدّة تشبيهات بليغة في هذه الوصيّة منها قول أكثم: **(عليكم بالخيل فأكرموها، فإنّها حصون العرب)** فقد شبّه الخيل بحصون العرب، التي تحمي صاحبها من الهلاك، وحذف أداة التّشبيه ووجه الشّبه، ويأتي ذلك من حبّ العرب الشّديد للخيل، وتقديرهم إيّاها، فكانوا يحافظون على سلالتها وتاريخ ميلادها وجذورها، فبها كانت بطولاتهم، وبها يتفاخرون بفروسيّتهم.

وفي قوله: **(الحسد داء ليس له دواء)** فهذا تشبيه بليغ كذلك، إذ شبّه الحسد بالداء الّذي ليس له دواء، وحذف أداة التّشبيه ووجه الشّبه.

---

[1] العسكريّ، أبو هلال، **جمهرة الأمثال**، 104/2.
[2] **نفسه**، 134/2.

ونجد تشبيهًا آخر في قوله: **(بقاء المودة عدل التّعاهد)** أي إنّ بقاء المودّة، كاستقامة التّعاهد، فهذا تشبيه بليغ كسابقيه، حيث حذف أداة التّشبيه ووجه الشّبه، ولكي تبقى المودّة قائمة بين شخصين، فيجب الحرص على سلامة التّعاهد القائم بينهما.

وفي قوله: **(الدّنيا دول)** شبّه الدّنيا بالدّول، وهي المتغيّرات، وحذف أداة التّشبيه ووجه الشّبه، فهو تشبيه بليغ، ويقصد به أن الدّنيا لا تدوم على حال، فإنّ دوام الحال من المحال، فيومٌ لك ويومٌ عليك، ومهما طال حالك سواء بالسّرور أو الشّقاء، فلا بدّ من تغيّر الحال.

كذلك قوله: **(التّغرير مفتاح البؤس)** فقد شبّه التّغرير بمفتاح البؤس، وحذف أداة التّشبيه ووجه الشّبه معًا، فهو تشبيه بليغ، ومعنى "التَّغْرِيرُ: حَمْلُ النَّفْسِ على الغَرَرِ، والغَرَر: الخَطَرُ والخُدْعَةُ"[1]، فمن تقوده نفسه إلى التّغرير بالنّاس، أي خداعهم، فهي تقوده إلى بؤسه.

وآخر تشبيه ورد في قوله: **(دعامة العقل الحلم)** وهو تشبيه بليغ –أيضا– حذفت منه أداة التّشبيه ووجه الشّبه معًا، فثبات العقل يكون بحلم الإنسان، أي أن يكون عاقلا صبورًا يعرف كيف يحلّ مشاكله بتأنٍ.

وقد وردت عدّة استعارات في هذا النّصّ منها قول أكثم: **(لو أنّ الإبل كلّفت الطّحن لطحنت)** فقد شبّه الإبل بشيء يطحن، وغالبًا ما يقوم بهذا الشيء هو الحمار أو ما على شاكلته، وحذف المشبّه به وأبقى على شيء من لوازمه، ويقصد بقوله: (الإبل لو كُلّفت بالطّحن) لقامت بدورها على أكمل وجه، وفي العادة الدابة لا تطحن، وإنما هي وسيلة للطحن، فتحرك الحجارة التي هي آلة الطحن فيكون الطحين.

كذلك نجد استعارة في قوله: **(من عتب على الدّهر طالت معتبته)** إذ يشبّه الإنسان الّذي يلوم الدّهر بإنسان يقضي عمره بالعتاب ولا يجد إجابة، وحذف المشبّه به وأبقى على شيء من لوازمه، ويقصد

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، (غرر).

بذلك أنّ العتب على الدّهر سيكون دومًا دون جدوى، وبدلًا من أن يعتب الشّخص على الدّهر فعليه أن يسعى ليعرف أين موضع الخلل ويصلحه، وإن قضى عمره كلّه بعتاب الدّهر فلن يكون ذا جدوى أبدًا.

وفي قوله: **(ما كان لك أتاك على ضعفك)** فيه استعارة، إذ شبّه الشّيء الّذي كتبه الله لك من مال أو مطعم أو ملبس أو سكن، بإنسان يمشي ويأتي إليك، وحذف المشبّه به وأبقى على شيء من لوازمه (أتاك)، وفي هذه الجملة معنى مهم على الإنسان أن يدركه، وهو أنّ ما كتبه الله سيحصل، ولو أنّ لك شيئًا في هذه الدّنيا فسيُسيّر إليك أينما كنت، حتى لو لم تكن تملك من الدّنيا شيئًا.

وقوله: **(من ألحف في المسألة ثقل)** "والإِلْحَاف: شِدَّةُ الإِلْحاح فِي المسأَلة"[1]، ففي هذه الجملة استعارة إذ شبّه الشّخص الّذي يلحف ويلح في مسألة كمن أصابه ثقل، وحذف المشبّه به وأبقى على شيء من لوازمه (الثقل) والثقل يكون على قلب الإنسان، وهو شيء معنوي، فيجب أن يتجنب الإنسان الإلحاح في المسائل كي يحفظ كرامة نفسه، إلا مع الله –سبحانه وتعالى–؛ لأنّ الإلحاح في الدّعاء مما يحبّه الله ويرضاه، وليس فيه اعتراض على القدر، قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ}[2]، وقال ابن القيم: "وَمِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ: الْإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ".[3]

أمّا المجاز المرسل فقد ورد في قول أكثم: **(ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقّها)** إذ أطلق الرّقاب، وأراد الإبل كاملة، فأطلق جزء وأراد الكل، فهذا المجاز علاقته الجزئيّة. ويقصد من كلامه أن تؤتى الإبل حقّها من كلّ شيء غير منقوص، فللإبل قيمة ومكانة عالية عند العرب، وخص الرقاب بالذكر؛ لأنها مكان النحر.

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (لحف).
[2] غافر، 60.
[3] ابن القيم، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، 11.

وقد ورد في النّصّ طباق في مواضع عدّة منها: **(إياكم وعليكم)**، وجملة: **(وبألبانها يتحف الكبير، ويغذى الصغير)** فكلمتي الكبير والصّغير متضادّتان، وفي جملة: **(الحسد داء ليس له دواء)** فهناك طباق بين كلمتي (داء ودواء)، أما في قوله: **(فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك)** فيوجد مقابلة بين الجملتين، فذكر أولا (لك وضعفك)، ليقابل في الجملة الثانية بـ (عليك وقوتك).

ومن الملاحظ أن معظم الأمثال والحكم إن توالت فيتبعها السجع، كما في قول أكثم: **(ومن عتب على الدهر طالت معتبته، ومن رضى بالقسم طابت معيشته)** فبين كلمتي معتبته ومعيشته سجع، إذ التقت الكلمتان في آخر حرفين، وهما: التاء والهاء، وفي قوله: **(فما كان لك أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك)** فيوجد سجع بين كلمتي ضعفك وقوّتك، وقوى الإيقاع الموسيقي تكرار حرف الكاف سبع مرات في الجملتين، إذ التقتا بآخر حرف وهو حرف الكاف، وفي قوله: **(الحسد داء ليس له دواء)** فيوجد سجع بين كلمتي (داء ودواء)، فقد التقتا بآخر حرفين وهما الألف والهمزة، وتكرار الدال ثلاث مرات أحدث تأثيرا إيجابيا على النغمة الموسيقية.

ومن الملاحظ أنّ أكثم بن صيفي خالف منهجيّة الوصايا التي تعتمد أكثر ما تعتمد على الأوامر والنّواهي، ولكنّنا لم نقف على الأساليب الإنشائيّة الطّلبيّة في هذه الوصيّة إلا بطلب النّهي مرة واحدة بقوله: (ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها)، وأتى بصيغة الأمر في قوله: (فأكرموها)، وباسم فعل الأمر في موضعين: (إياكم ونكاح الحمقاء)، و (عليكم بالخيل)، لمعرفته بأن النّفس البشريّة لا تتقبّل الإلزام بالفعل أو تركه، فعدل عن الأساليب الإنشائيّة الطّلبيّة إلى الجمل الخبريّة على صور الأمثال والحكم التي تقنع السامع وكأنها الدليل والبرهان على صحة ما يقول.

ويقول هاشم صالح مناع عن هذه الوصيّة إنّ أكثم يفرّ فيها من الصّنعة البلاغيّة "ذلك أنّه يرسل حكمه وأمثاله من خلال وصيّته لقومه متتابعة كحبّات المطر، متدفّقة كالسّيل المنهمر، متلاحقة كأمواج

البحر، مُلئت حكمة، وعُجنت محبة وصدقًا، كل واحدة منها تصلح عنوانًا لكتاب أو موضوعًا لبحث، وما أحراها أن تُكتب بماء الذّهب، وتعلّق في صدر كلّ بيت ومجلس"[1].

[1] **النّثر في العصر الجاهلي**، 137.

النّصّ الثّالث: وصيّة ذي الإصبع العدوانيّ لابنه أسيد

قيلت هذه الوصيّة عند احتضار ذي الإصبع العدوانيّ، استدعى ابنه ليوصيه وصيّة هي خلاصة ما مرّ به في حياته، كي يفيد ابنه منها، ويفيد كلّ من يعمل بها، يقول في هذه الوصيّة:

" **يَا بُنَيّ إنّ أَبَاكَ قدْ فَنَي وهُو حَيّ! وعَاشَ حتّى سَئِمَ العَيشَ وإنّي مُوْصِيكَ بِمَا إنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ في قومِكَ ما بَلَغْتُهُ، فاحْفَظْ عَنّي :أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَومِكَ يُحِبُّوكَ، وتَوَاضَعْ لهم يَرْفَعُوكَ، وابْسُطْ لهم وَجْهَك يُطِيْعُوكَ**"[1].

استهلّ ذو الإصبع وصيّته بالنّداء ب(يا)، وهي لنداء البعيد مع أنّ ابنه أمامه، وعرج على هذا الانزياح؛ ليرفع من شأنه، وليصبح –كما يريد– من العظماء وعليّة القوم، ثمّ أردفها بتصغير ابن (بني) لحبّه ودلاله.

وفي هذه الجمل القليلة يوجد العديد من الصور البلاغية، علاوة على ما تفيض فيه من المعاني الكثيرة، وأول ما يطالعنا في هذا النّصّ أسلوب الالتفات في قوله: **(يَا بُنَيّ إنّ أَبَاكَ قدْ فَنَي وهُو حَيّ)** فقد استخدم أسلوب ضمير المتكلم في (بني) ثم الانتقال إلى ضمير الغائب في (هو)، وهذا الالتفات يفيد إشغال ذهن المتلقي وإزالة الملل عنه. وفي جملة **(قدْ فَنَي وهُو حَيّ)** كناية عن الضّعف وما آل إليه من الكبر، فلا يرجى منه ما يرجى من الأصحاء، ويوجد طباق بين (فني – حي/عاش)، فاستطاع ببراعة أن يثبت لنفسه صفتين متناقضتين: (الفناء والحياة) مخالفًا مقوله المناطقة: الضدان لا يجتمعان.

وقوله: **(وعَاشَ حتّى سَئِمَ العَيشَ)** كناية عن الضّيق والملل من طول الحياة، المليئة بالوهن، فخرت قواه لتجاوزه مئة عام بكثير، ويوجد جناس اشتقاق بين كلمتي: (عاش والعيش). وفي قوله: **(وإنّي مُوْصِيكَ بِمَا إنْ حفظته بلغت في قومك ما بلغته)** كناية عن أهمية الوصايا والحرص على تنفيذها، فابنه إن حفظ

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 46/1.

ما قال والده، وعمل بمقتضاه فإنّ ذلك سيرفع من قدره بين قومه، كما رفع أباه من قبل، ثمّ يلاحظ تكرار فعل الأمر أربع مرات (احفظ، وألِنْ، وتواضع، وابسط) وانزاح الأمر في هذه المواضع إلى معنى مجازي هو: النّصح والإرشاد، فقوله: **(احفظ عني)** أسلوب أمر للحثّ والنّصح، ثمّ يبدأ بذكر النّصائح الّتي يقدّمها لابنه.

وجاء في أوّل نصيحة: **(أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَومِكَ يُحِبُّوكَ)** كناية عن نسبة، فنسب اللين إلى الجانب وأراد جسمه كاملا وجسده وبدنه، كما ورد في قوله تعالى من هذا القبيل: {أَن تَقُولَ نَفْسٌ يٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ}[1]، يقول ابن عاشور في تفسيرها: "الجنب والجانب مترادفان، وهو: ناحية الشيء ومكانه، ومنه: (الصاحب بالجنب) أي الصّاحب المجاور"[2]. فمتى كان الإنسان رفيقًا هينا لينا بمعاملته مع النّاس فإنّه يكسب ودّهم ومحبّتهم.

وقوله: **(وتَوَاضَعْ لهم يَرْفَعُوكَ)** ففيه كناية عن رضا قومه عليه، فإذا تواضع لهم جعلوه من عليّة القوم، فالإنسان متى ما تواضع واحترم قومه فإنّه يحصد بذلك رفعة المقام والتّقدير، على أن يكون هذا التّواضع مصحوبًا بعزّة النّفس دون مذلّة.

ثمّ يتواصل في سرد النّصائح فيقول: **(وابْسُطْ لهم وَجْهَك يُطِيْعُوكَ)** كناية عن انشراح الوجه وبشاشته، ومقابلة النّاس بالابتسامة، فإنّه إن قام بذلك ضمن طاعة النّاس له، وشتّان بين من يقابل النّاس بوجه عبوس، وبين من يقابلهم بوجه بشوش، فإنّ لذلك تأثيرًا على نفسيّة المتلقّي.

[1] **الزّمر**، 56.
[2] **تفسير التحرير والتنوير**، 46/24.

ويبدو السّجع واضحًا في نهاية جمل هذا النّص، كما في: (يحبّوك.. يرفعوك.. يطيعوك) فقد التقت أواخر الكلمات بحرفي الواو والكاف، ممّا أضفى موسيقا تؤنس الأذن بنغمتها ورقتها، وتكرار الفعل المضارع وتأخيره يفيد دوام المحبة والرفعة والطاعة واستمراريتها.

واقترن فعل الأمر بهذه الجمل لجواب الطلب المجزوم بحذف النّون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة ووقعت الجمل في جواب الطلب (يحبّوك.. يرفعوك.. يطيعوك)، والأصل فيها: يحبّونك، يرفعونك، يطيعونك.

ثمّ يتابع ذو الأصبع العدوانيّ في وصيّته، فيقول: " **وأَكْرِمْ صِغَارَهُم كمَا تُكْرِمْ كِبَارَهُم، يُكْرِمْكَ كِبَارُهُم، ويَكْبُرُ على مَوَدّتِك صِغَارُهم! واسْمَحْ بمَالِكَ واحْمِ حَريمَك وأَعْزِزْ جَارَكَ وأَعِنْ منِ اسْتعانَ بك وأَكْرِمْ ضَيفَكَ**"[1].

في قوله: **(وأَكْرِمْ صِغَارَهُم، كمَا تُكْرِمْ كِبَارَهُم)** تشبيه مرسل مجمل، حيث شبّه إكرام الابن للصّغار بإكرامه للكبار، وإنّ هذا الفعل يدلّ على أهميّة المودّة في العلاقات الإنسانيّة للمراحل العمرية المختلفة كافة، وهو أسلوب أمر للحث والنّصح، جاء جوابه في الجملة التي تليها: **(يُكْرِمْكَ كِبَارُهُم ويَكْبُرُ على مَوَدّتِك صِغَارُهم)** فنتيجة حسن المعاملة مع الصّغار أن يكبروا ويكبر بقلبهم حبّه وموّدته ما دام حيا، ويوجد جناس اشتقاق ناقص بين كلمتي: (كبار، ويكبر)، كما يوجد طباق بين كلمتي: (صغارهم، وكبارهم).

ثمّ يليها عدّة نصائح مُصاغة بأسلوب الأمر، ويتكرر فيها صريح فعل الأمر في كل جملة، يقول: **(واسْمَحْ بمَالِكَ)** فيها كناية عن الجود بالمال والكرم، و **(احْمِ حَريمَك)** كناية عن مكانة النّساء عند العرب وضرورة حمايتهم وصونهم، و**(أَعْزِزْ جَارَكَ)** كناية عن احترام الجار وتقديره، و**(أَعِنْ منِ اسْتعانَ بك)** كناية عن إغاثة الملهوف.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 46/1.

واللافت للانتباه في هذه الفقرة تكرار فعل الكرم بصيغتي الأمر والمضارع أربع مرات: (أكرم، تكرم، يكرم، أكرم)، وبمعنى الكرم لا بلفظه مرتين: (اسمح بمالك، وأعزز جارك)؛ وذلك لبيان أهمية الاتصاف بالكرم عند العرب، ونبذ الشح والبخل وغل اليد، وتترأس هذه الصفة جميع الصفات الخلقية، وفي هذه الفقرة كرر ذو الإصبع حرف (الكاف) في أقل من سطرين خمس عشرة مرة، وهو صوت شديد انفجاري وحنكي يدل على الرقة والانسياب، وهذا ما يريده الخطيب من ولده أن يكون.

وفي آخر جزء من الوصيّة يقول ذو الإصبع العدوانيّ: " **أَسْرِعِ النَّهْضَةَ في الصَّرِيخِ**[1]**؛ فإِنَّ لكَ أَجَلاً لا يَعْدُوكَ، وصُنْ وَجْهَكَ عن مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُؤْدَدُكَ**"[2].

وفي هذه الجمل نجد الكناية في قوله: **(أَسْرِعِ النَّهْضَةَ)** وهي كناية عن النخوة وإغاثة الملهوف، دون تباطؤ، فما إن يسمع بشخص يطلب المساعدة منه إلا وعليه الإجابة وعدم التواني في ذلك أبدًا، فالمحتاج لا ينسى هذا المعروف.

وكناية أخرى في قوله: **(وصُنْ وَجْهَكَ)** فهذه كناية عن عزّة النّفس، وحفظ الكرامة، فلا يسأل النّاس شيئًا، فيحمي نفسه من ذلّ المسألة.

وقد وردت في هذا النّصّ عدّة استعارات منها قوله: **(فإِنَّ لكَ أَجَلاً لا يَعْدُوكَ)** فهذه استعارة مكنيّة، إذ شبّه الأجل بكائن حي يركض، وحذف المشبّه به (الكائن الحي) وأبقى على شيء من لوازمه، ويقصد بهذا الكلام أنّ لكلّ إنسان أجل لا يتقدّم ولا يتأخر عن موعده، لذلك لا داعي للخوف من أيّ شيء قد يُقدم على فعله، وهذا المعنى وارد في القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ

[1] الصريخ: نداء المستغيث، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صرخ)
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 46/1.

سَاعَةٌ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34)}[1]، أي: "لا يتجاوزونه بتأخير، ولا يتعجلونه بتقديم، والمقصود أنّهم لا يؤخّرون عنه"[2].

ووردت استعارة كذلك في قوله: **(يَتِمُّ سُؤْدَدُكَ)** فهذه استعارة مكنيّة كسابقتها، إذ شبّه السّؤدد بشيء مادي يتمّ وينقص، وحذف المشبّه به وأبقى على شيء من لوازمه، وهذا تشبيه المعنويّ بشيء ماديّ.

وقد وردت عدّة مجازات مرسلة في هذا النّص، كما في قوله: **(أَسْرِعِ النَّهْضَةَ في الصَّرِيخِ)** فالنّهضة مجاز مرسل علاقته الجزئيّة، إذ أطلق الجزء وهو النّهضة، وأراد الكلّ وهو المساعدة التّامّة للشّخص الّذي يستصرخه.

وفي قوله: **(وصُنْ وَجْهَكَ عن مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا)** فالوجه مجاز مرسل علاقته الجزئيّة، إذ أطلق الجزء وهو الوجه، وأراد به كل الكيان، والوجه ماديّ محسوس، أمّا الأعمال فشيء معنويّ، وخص الوجه؛ لأنّ ملامح الإنسان وانفعالاته أكثر ما تظهر فيه.

ففي هذا النّصّ استطاع ذو الإصبع العدوانيّ أن يسدي النّصح لابنه أسيد؛ ليورّثه الفضائل الّتي تعينه في العيش بين قومه من العرب، وقد كانت الوصيّة واقعيّة قليلة الخيال، نابعة من القلب، يتخللها عمق العاطفة وصدقها، والأساليب الّتي وردت فيها لا تعدو كونها غير متكلّفة، ومع عفويتها إلا أنها تحمل معاني عميقة ومتدفقة.

[1] الأعراف، 34.
[2] ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، 105/8.

النّصّ الرّابع: وصيّة زهير بن جناب الكلبيّ

أوصى زهير بن جناب بنيه وصيّة تناقلتها الأجيال عبر العصور، لما فيها من حكمة وموعظة تصلح لكل العصور. يقول زهير في وصيّته:

"يا بَنِيَّ، قدْ كَبِرتْ سِنِّي، وبلغتُ حَرْسًا[1] من دهري، فأَحْكَمَتْني التجاربُ، والأمورُ تجرِبةٌ واختبارٌ، فاحفظوا عني ما أقولُ وَعوهُ. إياكُمْ والخَوَرَ عندَ المصائبِ، والتواكلَ عندَ النوائب؛ فإن ذلك داعيةٌ للغَمِّ، وشماتةٌ للعدوِّ، وسوءُ ظَنٍّ بالرَّبِّ. وإياكمْ أن تكونوا بالأحداثِ مُغترّينَ، ولها آمنين، ومنها ساخرين، فإنَّهُ ما سَخِرَ قومٌ قطُّ إلا ابْتُلُوا؛ ولكنْ تَوَقَّعوها؛ فإنَّما الإنسان في الدنيا غَرَضٌ[2] تعاورَهُ الرماةُ، فَمُقَصِّرٌ دونَه، ومُجاوِزٌ لموضِعِهِ، وواقعٌ عن يَمينِهِ وشِمالِهِ، ثمَّ لا بُدَّ أنهُ يُصيبُه"[3].

قبل أن يوجه نصائحه لبنيه، كان عليه أن يتحدّث عن نفسه وكيف أصبح حكيمًا يؤخذ برأيه، فعلّمته الأيام الحنكة والمعرفة، واكتسب تجاربه من السنين الطوال التي عاشها حتى هرم، ثمّ انتقل إلى أبنائه طالبًا منهم أن يسمعوا كلامه ويحفظوه ويتدبّروه؛ لأنّه وهو بهذه المكانة من حقّه أن ينصحهم.

وبدأ حديثه بأسلوب النّداء: (يا بني) فانزاح إلى أداة نداء البعيد (يا) مع قرب أبنائه منه، وذلك للتّودد والتخصيص، وتصورهم في المستقبل عظماء لهم شأن عظيم إذا ما امتثلوا لوصاياه.

ونجد في هذه الوصيّة أسلوب الازدواج في جملتي: **(قدْ كَبِرتْ سِنِّي، وبلغتُ حَرْسًا من دهري)** فهاتان الجملتان تحملان المعنى نفسه، ويستخدم الخطيب الموصي هذا الأسلوب للتأكيد على المعنى الّذي يريده، والتأكد من أنّ المتلقي فهم المعنى المقصود من كلامه.

---

[1] الحرس من الدّهر: الطويل، وحرس: كسمع عاش زمنًا طويلا، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حرس)
[2] غرض: هدف، **نفسه**، مادة (غرض)
[3] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 289/1.

وفي قوله: **(فأَحْكَمَتْني التجاربُ)** نجد استعارة مكنيّة، إذ شبّه التّجارب بإنسان تعلّم منه أمور الحياة، وحذف المشبّه به وأبقى على شيء من لوازمه.

وفي قوله: **(فاحفظوا عني ما أقولُ وَعوهُ)**: عطف وعوه على أقول للحثّ على أنّ الطّلب جد خطير، بدليل تصدير العبارة بفعل الأمر (احفظوا) الذي يفيد الوجوب، فانزاح بفعل الأمر عن حقيقته إلى معاني الاستخبار، والنصح والإرشاد، فلا يراد من بنيه مجرد سماع ما يقول، فلا قيمة لما سمعوا إلا بالتّطبيق العمليّ وتنفيذ ما أمروا به.

ويلاحظ تكرار أسلوب التحذير مما يسوؤهم بقوله: (إياكم وإياكم) ليتجنبوا ما ينغص حياتهم، والتفاتهم إلى المحبب النافع لهم، وهو بذلك يؤثر في نفوسهم وقلوبهم وعقولهم.

وقد جنح زهير إلى كثرة التّقديم والتأخير، ومن ذلك قوله: **(وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين)** وقوله: **(ولها آمنين)**، وقوله: **(ومنها ساخرين)**، فقد قدّم الجار والمجرور في الأولى على خبر كان، وفي الجملة الثانية والثالثة قدم الجار والمجرور على اسم الفاعل، والأصل فيها أن تكون: مغترين بالأحداث، وآمنين لها، وساخرين منها.

وورد تشبيه ضمنيّ في قول زهير: **(فإنَّما الإنسانَ في الدنيا غَرَضٌ تعاورَهُ الرماةُ، فَمُقَصِّرٌ دونَه، ومُجاوِزٌ لموضِعِهِ، وواقعٌ عن يَمينِهِ وشِمالِهِ، ثمَّ لا بُدَّ أنهُ يُصيبُه)** إذ شبّه الإنسان بهدف يتعاوره الرماة، والمشاكل الّتي يتعرّض لها برماح أو نبال، وتلك المشاكل (الرّماح) تحاول أن تصيب الهدف (الإنسان)، فبعضها يأتي قبله (مقصّر دونه) وبعضها يتجاوز الإنسان فتكون أبعد منه، وبعضها يأتي عن يمينه وشماله، إلى أن يأتي الرّمح الّذي يصيب الإنسان وهو قدره، ولعلّ هذا الرّمح الأخير هو الذي يسلبه الحياة فيكون الموت المقدر، وهذا التّشبيه قريب للذّهن ويسهل فهمه على متلقيه، إذ يتخيّل المشهد أمام عينيه، وتفيد هذه الصورة التشبيهية بيان حال المشبّه. وهذه الجملة: (فإنّما الإنسان ..... يصيبه) جاءت توضيحًا

لقول الموصي: (إياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين...) فهذا أسلوب الشرح والتوضيح الّذي يأتي لإقناع المُخاطَب بقول الموصي ويبيّن له السّبب من كلامه ووصيّته. وإنّ تكرار الجمل الحكميّة مثل: (الأمور تجربة)، و(ما سخر قوم إلا ابتلوا) وغيرها، تفيد الوعظ والإرشاد.

وقد ورد الطّباق في هذه الوصيّة بشكل ملحوظ، وهو محسّن بديعيّ، ويضيف وجود الطباق في الجملة معناها الكامل، ويوضح المقصود بها، كما يضيف الطباق على النص الجمال الذي ينقصه، ويساعد على ربط الأشياء بعضها مع بعض، ولعلّ السّبب من وراء ذلك أن الشيء يزداد وضوحا بذكر ضده، ومن أمثلة الطّباق (يمينه – شماله) (مقصّر – مجاوز)، وهذا المثالان ورد فيهما طباق الإيجاب.

وقد جاء السّجع في الوصيّة ظاهرًا، كما في قول زهير: **(فَمُقَصِّرٌ دونَه، ومُجاوِزٌ لموضِعِهِ، وواقعٌ عن يَمينِهِ وشِمالِهِ، ثمَّ لا بُدَّ أنهُ يُصيبُه)** فقد التقت أواخر الكلمات في هذا الجزء من النّصّ عند حرف الهاء، فالكلمات (دونه – موضعه – شماله – يصيبه) كلها انتهت بحرف الهاء، وقد أعطت للنّصّ موسيقا زادت على جماليته، وقد أضفت تقسيمًا للنّصّ ذا إيقاع داخليّ، وهذا التّقسيم يساعد في ترسيخ الكلام بذهن المتلقي. وكذلك وقع السّجع في فواصل الجمل: (المصائب، والنوائب) و (مغترين، وآمنين، وساخرين).

واستخدم أسلوب القصر مع تنوع طرقه بالنّفي والاستثناء، كقوله: **(ما سَخِرَ قومٌ قطُّ إلا ابْتُلُوا)**، والقصر بطريق إنّما كقوله: **(فإنَّما الإنسانَ في الدنيا غَرَضٌ تعاورَهُ الرماةُ)**، والدّاعي التّأكيد بالقصر وتكريره هو التّحذير من الانزلاق في النّيل من النّاس والتّكالب على الدّنيا وما فيها، ففي نهاية المطاف لا مفرّ من الموت، والدافع إليه هو تناول معنى واستقصاؤه، علاوة على التّأكيد والحصر، وخصوصيّة الصّفة بالموصوف، والموصوف بالصّفة.

النّص الخامس: وصية حصن بن حذيفة لبنيه:

أوصى حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بني بدر فقال:

" اسمعوا مِنّي ما أُوصيكم به، لا يَتَّكِلُ آخِرُكم على أَوَّلِكم؛ فإنما يُدْرِكُ الآخِرُ ما أَدْرَكَهُ الأَوَّلُ، وأَنْكِحُوا الكُفْءَ الغَرِيبَ؛ فإِنَّه عِزٌّ حَادِثٌ، وإذا حَضَرَكم أَمْرَانِ فَخُذُوا بِخيرِهما صدرًا؛ فإِنَّ كُلَّ مَوْرِدٍ مَغْرُوفٌ، واصْحَبُوا قومَكم بأجملِ أَخْلاقِكم، ولا تُخَالِفُوا فيما اجْتَمَعُوا عليه؛ فإِنَّ الخِلافَ يُزْرِي بالرَّئيسِ المُطَاعِ، وإذا حَادَثْتُم فأَرْبِعُوا، ثم قولوا الصِّدقَ؛ فإِنَّه لا خيرَ في الكذبِ"[1]

إنّ أول ما يلاحظ في هذه الوصيّة هو أسلوب التّعليل الوارد فيها مصحوبا بفاء الفصيحة، فلا تكاد تخلو جملة منها إلا ونجده، لما فيه من حسن التعليل الذي يأخذ برقبة السامع لينقاد طوعًا إلى ما يرمي إليه المُوصي بأقل جهد ووقت، وهذا أسمى طريق للإقناع، ثم الامتثال.

بالإضافة إلى أسلوب التوكيد المتمثّل بإنّ ومعموليها فإذا كانت الجملة الاسمية في ذاتها تفيد التوكيد، فتوكيد التوكيد بحرف توكيد أبلغ فيه وأعظم ووجدنا هذا في عدد من الجمل التي تسترعي خلاصة ما يرمي إليه المُوصي وهي بمثابة بيت القصيد.

ووجد تزاحم أسلوبي: الأمر والنهي ثماني مرات، وهذا ما يناسب الوصية بشكل عام افعل أو لا تفعل، فكلام الموصي لا يخلو من أن يكون إمّا أمرًا يأمرهم به وإما نهيًا ينهاهم عنه وهذا فيه إرادة الخير للمُوصَى إليهم، وكمال شفقة المُوصي بأحبابه.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 1/ 129.

ففي قوله: **(اسمعوا مني ما أوصيكم به)** فإنّ طلب الموصي بالاستماع له يوحي بأهمية ما سيُقال ويعطي انتباها واسترعاء للنظر إليه فيقع الكلام في القلب ويأخذ موقعه منه، وهو أسلوب انشائي طلبي فيكون هذا أدعى للعمل وعدم النسيان.

وقوله: **(لا يتكّل آخركم على أولكم فإنما يُدرك الآخر ما أدركه الأول)**: ففيه كناية عن الجدّ والعمل، فهو يوصي بأنّ العمل والسعي إلى التقدم والازدياد لا يكون بالاتكاء على جهد غيره، فمَن طلب الرقيَّ سعَى إليه، ومن جدّ في درب النجاح وصل، كما وصل إليه غيره، وفي هذا نعلم أنّ المُوصي يدمج صفة الاعتماد على النفس ومواصلة الجهد والعمل، وعدم انتهاز جهد الآخرين دون مشقة.

ويلاحظ أنّه لم يقل: لا يتواكل، بل استعمل دلالة الوزن (افتعل) بقول: (يتكل اتكال من افتعل افتعال) ودلالة هذا الوزن تعني أنّ الفعل منبثق من نفس الذات إلى الخارج لا أنّه تم إيراده من الخارج وهذا الوزن يخدم المعنى المرمّي إليه؛ لأنّ الموصي يرغّب بالاعتماد على الإنتاج من داخل الذات لا استيراد العمل من الخارج ودلالة هذا الوزن تخدم المقصود.

وقوله: **(الغريبَ)** لما توارد في ذهن العرب من تغريب النّكاح في التزويج؛ لأنّه أنجب للولد وقد حرص المُوصي على نجابة ذرية ولده؛ لأنّه امتداد الذرية النجيبة ونبلها من افتخار العرب؛ ولهذا نجدهم يفتخرون بالعدد والعتاد في غالب أشعارهم على الحث على تغريب النكاح وزيادة عدد أفراد الأسرة الممتدة.

أمّا قوله: **(فإنّه عِزٌ حادِث)**: فله مَعنيان أمّا الأول: فالعِزّ مأخوذ من القوّة والشدّة ولمّا كان التغريب في النكاح أشدّ للذرية وأقوى جاز أن يُطلَق على النكاح عِزٌ باعتبار صفة الولد؛ لأنّ أهمّ ما ينشأ عن الولد هو صفة النجابة، وأهم ما ينشأ من الزواج هو الولد، فكان الفخر فخرين: فخر الولد الذي هو ثمرة الزواج، وفخر قوة الولد وشدّته وهو فخر بالذرية.

وأمّا المعنى الثاني: فهو مأخوذ من ندرة الوجود، فلمّا كان الغالب على القبائل العربية أن تزوّج من داخل القبيلة، وكان الخُطّاب من الخارج عزيزي الوجود استحقَّ أن يقال: (فإنّه عز حادث).

والمعنى الأول أقوى وبه أقول والثاني له حظّ من النظر.

وقوله: **(وإذا حضركم أمران فخذوا بخيرهما صدرًا فإنّ كل مورد مغروف)**: الصدر بمعنى الرّجوع، وفيه كناية عن حسن الاختيار، فيشير المُوصي إلى حسن الانتقاء عند تعدد الاختيار؛ لأنّ كلا من الاختيارَين له مَورِده من النّاس فليست العبرة في الاختيار بل في حسنه.

أمّا قوله: **(ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه)** ففيه كناية عن أهميّة الاجتماع، فنرى الجاهليين على ما عندهم من صفات يتبادر للذهن شرّها إلّا أنّهم لو اختلفوا في شيء، فإنّهم لا يختلفون في ضرورة الاجتماع وأهميّته وبذلك نعلم أنّها قضية مسّلمٌ فيها.

وقوله: **(وإذا حادثتم فاربعوا[1])** ففيه كناية عن الحديث الموزون، إذ يحرص المُوصي على هيبة بنيه بأن يقلّوا الكلام ويخفضوه؛ لأنّه بقدر خفض الصوت تعلو الهيبة وعلى قلة الكلام تأتي الفِراسة والانقياد للمَقول، والمعنى: إذا حادثتم فتأنّوا وتمهّلوا، وأحكموا القول.

وفي قوله: **(فإنّ الخلاف يزري بالرئيس المُطاع)** جملة مؤكّدة بإنّ؛ لأنّ من علامات سؤدد الرئيس وعلامة طاعة اتباعه له هو عدم وجود خلاف عليه، وهذا يُذهِبُ هيبَتُه ومقامه في نفوس الناس.

ولفظة (رئيس) لا تعني مرؤوس في هذا الموضع قياسا على ذبيح بمعنى مذبوح وإنما يُعنى بها الفاعل لا المفعول، كقولنا رحيم أي راحم وليس مرحومًا إذا ما أضيفت للفظ الجلالة.

[1] ربع: "انتظر وتحبس، وربع الحبل: فتله من أربع طاقات"، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ربع).

أمّا في قوله: **(فإنّه لا خيرَ في الكذب)** فإنّ استعمال المُوصي لدلالة لا النافية للجنس إشارة إلى عدم علمه لأيّ نفع يكون ناشئًا من الكذب دون استثناء لشيء إذ لو كان هناك نفع آنيٌّ لقال: (لا خيرٌ) بتنوين الضم إشارة إلى نفي الخيرية المطلقة لكنه يثبت خيرية جزئية في ظرف ما ووقت ما، لكن لمّا قال: (لا خيرَ) بالفتح علمنا أنّه ينفي الخيرية المطلقة والجزئية معًا، وهكذا نرى أنّ الجاهلي في المجمل لا يكذب ولا يمدح الكاذب، بل لا يرى أيّ خيرٍ منبثقا منه.

ثمّ يكمل حصن بن حذيفة في وصيّته فيقول:

" وصُونُوا الخيلَ؛ فإنها حُصونُ الرِّجالِ، وأَطِيلوا الرِّماحَ فإنَّها قرونُ الخيلِ، وأَعِزُّوا الكبيرَ بالكِبَرِ؛ فإنّي بذلك كنتُ أَغْلِبُ الناسَ، ولا تَغْزُوا إلاَّ بالعيونِ، ولا تَسْرَحُوا حتى تَأْمَنُوا الصَّبَاحَ، وأَعْطُوا على حَسَبِ المالِ، وأَعْجِلُوا الضَّيفَ بالقِرَى[1]؛ فإنَّ خيرَه أَعْجَلَهُ، واتَّقُوا فَضِيحاتِ البَغْيِ وَفَلَتَاتِ المِزَاحِ، ولا تُجِيرُوا على الملوكِ؛ فإنَّ أيديَهم أَطْولُ مِن أيَدِيكم"[2]

ففي قوله: **(وصونوا الخيل فإنها حصون الرجال)** شبّه الخيل بحصون الرّجال، وحذف أداة التّشبيه ووجه الشّبه، والقارئ لهذه الوصيّة يكتشف وجه الشّبه بسهولة ويسر، فلم يكن الخيل لدى العرب مجرد وسيلة للنقل إنما كان له معاني ملازمة فإذا ذُكر الخيل حضر الخير فوصية الخطيب الموصي لبنيه بالخيل تحمل معاني الإيصاء بالخير والتمسك بنبل الثقافة العربية، فضياع الخيل والاهتمام بها ضياع لهذه القيم الملازمة لها.

وقوله: **(وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل)** شبّه الرّماح بقرون الخيل، وهذا تشبيه منتزع من البيئة العربية، فكأنما المقاتل بالرماح يشبه الوعول والأيائل ذات القرون التي تدافع بها عن نفسها، ومن المتعارف

[1] قرى الضيف: أحسن إليه، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قرى)
[2] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، 1/ 129.

عليه أنّ الخيل لا قرون لها، فقد رسم الموصي صورة جميلة للخيل ذات القرون، فكأنّه يشبّهها بحيوان ذا قرون، كالوعل مثلا، وهذه الرّماح الّتي مكان القرون تدافع بها الخيل عن نفسها، وهنا حذف أداة التّشبيه ووجه الشّبه.

أمّا قوله: **(ولا تغزوا إلا بالعيون)** ففي هذه العبارة قضايا بلاغيّة، منها: الكناية عن أخذ الحيطة والحذر، إذ يقصد به توخي الحيطة والحذر على الدوام، والاستعداد قبل الولوج للمعركة، ولمّا غلب التجسس عن طريق العين أُطلِقَ العين على الشخص كله فكان العين من الالفاظ المشتركة ولها معاني منها الجاسوس، وفيها مجاز مرسل علاقته الجزئيّة، واختيار العين دون غيرها؛ لأنّها الجزء الأهم لناقل الأخبار، فلا يتوقع أن يرسل الأعمى لنقل أخبار العدوّ، كذلك فيها أسلوب القصر الذي يفيد التخصيص والتّأكيد والحصر.

وقوله: **(واتقوا فضيحات البغي وفلتات المزاح)**: لمّا كان الظلم غالبًا في المزاح قرن المُوصي بينهما، وقوله: (فضيحات البغي)؛ لأنّ الظلم عواقبه وخيمة –وإن طالت مدّته– فسمّاهُ فضيحات؛ لأنّها لا بدُّ يومًا أنّ تظهر فتفضح.

فتجد أنّ الجاهليين يحذّرون من الظلم بشتى أنواعه، ولها صور وخصّ منها المزاح، فلمّا عُطف الخاص على العام بانت مركزية هذه الصورة وانكشفت غاية التحذير منها، فكان لسانُ حالِهِ ومقالِهِ يقول: أحذّركم الظلمَ وأخصُّ منه المزاحَ الذي قد لا يخطر ببالكم أن يقع فيه كثير من الظلم، وكنى بطول اليد عندما قال: (فإنّ أيديهم أطول من أيديكم) كناية عن هيمنة الملوك على الشعب، فبيدهم الصول والجول، والتهديد، والترويع، والضرب، فاليد لصيقة بالضرب وكأنها من توابعه، ولا يتحقق الضرب إلا باليد، وبذلك تتحول اليد من الوسيلة إلى الهدف.

ونظرة سريعة في الوصايا نجد أنّ الخطباء الجاهليين يولون أهميةً لحث المخاطبين على الامتثال بصفات هي عندهم بمثابة الدم للعروق، ومنها: صفة الكرم، والاهتمام بالخيل، واحترام السيدّ الكبير، والعطف على الصغير، والشجاعة والإقدام... الخ.

الخاتمة

وقف البحث على عدّة نتائج، أهمّها:

- نجد أنّ الخطابة في الزمن الجاهلي اعتُني بها من حيث الجمال والتعبير والإنشاء والإخبار كأعظم اهتمام من حيث نشأة الخليقة إلى زمن الجاهلية وبعدها، فلم يدانيها ما بعدها، ولم يجاريها ما قبلها.
- ويختلف استنباط الأساليب والتجليات، باختلاف الموهبة بين قارئ وقارئ، ومدى إشراقة الحس البلاغي والبياني لديه.
- ازدادت المعاني المطروحة في الخطب والوصايا المدروسة وضوحًا من خلال التشبيهات والكنايات والاستعارات وغيرها من الأساليب المستخدمة.
- دارت الخطب والوصايا المدروسة على القيم والأخلاق النبيلة التي يحرص الخطباء والموصون على بثها وإذاعتها بين المتلقين، والتحذير من الأخلاق والتصرفات المذمومة، التي تجلب العار والسفه لمن يمارسها.
- اعتمد الخطباء والموصون في خطبهم ووصاياهم على الإيجاز والاختصار التزامًا بأنّ البلاغة هي الإيجاز، لأنّ المتلقين هم عليّة القوم والأبناء.
- ضمن الخطباء والموصون الحكم والأمثال والحوادث في خطبهم ووصاياهم لتأكيد المعاني المطروحة، واستخدموا أسلوب المنطق والتعليل وإقامة الحجة بهدف إقناع المتلقين واستمالتهم للأخذ بمعاني خطبهم ووصاياهم.
- استخدم الخطباء ألفاظًا فصيحة بعيدة عن الغرابة والركاكة، مؤدية للمعاني المطلوبة في جمل قصيرة، وتراكيب قوية، مع وجود عدد غير قليل من الألفاظ الغريبة بالنسبة لعصرنا.

- وقد ازدانت الخطب جمالًا بالكنايات، والتشبيهات، والاستعارات، كما لُوحظ أسلوب التقديم والتأخير، والحذف، والالتفات، وهذا إن دلّ على شيء؛ فإنما يدلّ على عظمة اللغة، واتّساع رقعتها، وسموّ قيمتها في العصر الجاهلي.
- ويُلاحظ أنّ جلّ الخطب جاءت نثرية، ولم يُستشهد فيها بالشعر إلا في واحدة منها وهي خطبة قس ابن ساعدة.
- ويلاحظ في خطبة قس بن ساعدة أنّ الأبيات الشعرية من تأليفه، أُردفت بنثره، وهذا أمر مبتدع في الخُطب، حيث جرت العادة بإفراد النثر، أو إفراد الشعر.
- وتمتاز الخطب الجاهليّة –على وجه الخصوص– بالإيجاز وجوامع الكلم، ولا يلجأ الخطيب إلى الإطناب إلا إذا تطلب الأمر ذلك، ولا يجرؤ أحد على ارتقاء المنابر إلا سادة الجاهليين الذين اعتركوا الحياة وأكسبتهم المعرفة والفصاحة والبلاغة.

والله وليّ التّوفيق

الملاحق

الملاحق:

في هذا الجزء من البحث آثرتُ وضع نصوص الخطب والوصايا كاملة ليتسنّى لأيّ شخص يقرأ الرّسالة أن يقرأ نص الخطبة والوصيّة كاملة دون نقصان كما وردت في كتاب جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة.

أوّلًا: نصوص الخطب

النّص الأوّل: خطبة أكثم بن صيفي

جاءت هذه الخطبة ضمن الخطب التي قيلت في بلاط كسرى بعد أن قدمت وفود العرب عليه، فبدأ كل خطيب يجهّز نفسه ليقول خطبته التي يمدح فيها قومه، وفيها يقول أكثم:

" إنَّ أفضلَ الأشياءِ أعاليها، وأعلى الرِّجالِ مُلوكُها، وأفضلَ الملوكِ أعَمُّها نفعًا، وخيرَ الأزمنةِ أَخْصَبُها، وأفضلَ الخُطَباءِ أَصْدَقُها، الصِّدقُ مَنْجَاةٌ، والكَذِبُ مَهْوَاةٌ، والشَّرُّ لَجَاجَةٌ، والحَزْمُ مَرْكَبٌ صَعْبٌ، والعَجْزُ مَرْكَبٌ وَطِيئٌ، آفَةُ الرَّأي الهوى، والعَجْزُ مِفْتاحُ الفَقْرِ، وخيرُ الأمورِ الصَّبرُ، حُسْنُ الظَّنِّ وَرْطَةٌ، وسُوءُ الظَّنِّ عِصْمَةٌ، إصلاحُ فَسَادِ الرَّعِيَّةِ خيرٌ مِن إصلاحِ فَسَادِ الرَّاعِي، مَن فَسَدَتْ بِطَانَتُه كان كالغاصّ بالماءِ، شَرُّ البِلادِ بِلادٌ لا أميرَ بها، شَرُّ الملوكِ مَن خَافَهُ البَرِيءُ، المَرْءُ يَعْجَزُ لا مَحَالَةَ، أفضلُ الأولادِ البَرَرَةُ، خيرُ الأعوانِ مَن لم يُرَاءِ بالنَّصيحةِ، أَحَقُّ الجنودِ بالنَّصرِ مَن حَسُنَتْ سَريرتُهُ، يكفيكَ مِن الزَّادَ ما بَلَّغَك المَحَلَّ، حَسْبُك مِن شَرٍّ سَمَاعَهُ، الصَّمْتُ حُكْمٌ وقليلٌ فاعِلُهُ، البلاغةُ الإيجازُ، مَن شَدَّدَ نَفَّرَ، ومَن تَرَاخَى تَأَلَّفَ.

فتَعَجَّبَ كسرى مِن أكثمَ، ثم قال:

ويحك! يا أكثمُ، ما أحكمَك، وأوثقَ كلامَك، لولا وَضْعُك كلامَك في غيرِ موضِعِه.

قال أكثمُ:

الصِّدقُ يُنْبِيءُ عنك لا الوعيدُ.

قال كسرى:

لو لم يكن للعربِ غيرُك لَكَفَى.

قال أكثم:

رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِن صَوْلٍ."[1]

النّص الثّاني: خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة

تنافرت قريش وخزاعة إلى هاشم بن عبد مناف، فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة؛ فقال في خطبته:

"أيها الناس، نحن آل إبراهيم، وذرية إسماعيل، وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب، وأرباب مكة، وسكان الحرم، لنا ذروة الحسب، ومعدن المجد، ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته، إلا ما دعا إلى عقوق عشيرته، وقطع رحم، يا بني قصي: أنتم كغصني شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه، والسيف لا يصان إلا بغمده، ورامي العشيرة يصيبه سهمه، ومن أحكمه اللجاج أخرجه إلى البغي.

أيها الناس: الحلم شرف، والصبر ظفر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دول، والدهر غير، والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم، وحاموا الخليط يرغب في جواركم، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف، وتهدم المجد، وإن نهنهة الجاهل أهون من جريرته، ورأس العشيرة يحمل أثقالها، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به".

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 21/1.

فقالت قريش: "رضينا بك أبا نضلة" وهي كنيته."[1]

النّص الثّالث: خطبة المأمون الحارثيّ

"قَعَدَ المأمونُ الحارِثِيُّ في نادي قومِهِ، فنظرَ إلى السّماءِ والنجومِ، ثم أفكرَ طويلاً، ثم قالَ: أَرْعُونِي أَسْمَاعَكم، وَأَصْغُوا إِليَّ قلوبَكم يَبْلُغِ الوعظُ منكم حيثُ أُرِيدُ.

طَمَحَ بالأهواءِ الأَشِرُ، وَرَانَ على القلوبِ الكَدَرُ، وَطَخْطَخَ الجَهْلَ النَّظَرُ.

إِنَّ فيما ترى لَمُعْتَبَرًا لِمَن اعتبرَ؛ أَرْضٌ موضوعةٌ، وسماءٌ مرفوعةٌ، وشمسٌ تَطْلُعُ وتَغْرُبُ، ونجومٌ تَسْرِي فَتَغْرُبُ، وقَمَرٌ تُطْلِعُه النُّحورُ وتَمْحَقُه أدبارَ الشّهورِ، وعاجِزٌ مُثْرٍ، وَحَوْلٌ مُكْدٍ، وشَابٌ مُحْتَضَرٌ، وَيَفَنٌ قد غُبِرَ، وراحلون لا يؤوبون، وموقوفون لا يُفَرّطون، وَمَطَرٌ يُرْسَلُ بقَدَرٍ، فَيُحْيِي البَشَرَ، ويُوْرِقُ الشَّجَرَ، ويُطْلِعُ الثَّمَرَ، ويُنبِتُ الزَّهَرَ، وماءٌ يَتَفَجَّرُ مِن الصَّخرِ الأَيِرِ، فَيَصْدَعُ المَدَرِ عن أَفْنَانِ الخَضَرَ، فَيُحْيِي

الأنامَ، ويُشْبِعُ السَّوامَ، ويُنْمِي الأنعامَ.

إنَّ في ذلك لأوضحَ الدَّلائلِ على المُدَبِّرِ المُقَدِّرِ البارِئِ المُصَوِّرِ.

يا أيُّها العقولُ النَّافِرَةِ، والقلوبُ النَّائِرَة، أَنَّى تُؤْفَكونَ؟ وعن أي سبيلٍ تَعْمَهُون؟ وفي أي حِيْرَةٍ تَهِيْمون، وإلى

أي غايةٍ تُوْفِضُون؟

لو كُشِفَت الأَغْطِيَةُ عن القلوبِ، وتَجَلَّتِ الغِشَاوةُ عن العيونِ لَصَرُحَ الشَّكُّ عن اليقينِ، وأفاقَ مِن نَشْوَةِ الجَهَالَةِ

مَن استولَتْ عليه الضَّلالةُ."[2]

النّص الرّابع: منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أميّة

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 1/272-273.
[2] **نفسه**، 1/36.

"تنافر عبد المطلب بن هشام وحرب بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة، فأبى أن ينفر بينهما، فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح، فقال لحرب:

"يا أبا عمرو: أتنافر رجلًا هو أطول منك قامة، وأعظم هامةً، وأوسم منك وسامة، وأقل منك ملامة، وأكثر منك ولدًا، وأجزل صفدًا، وأطول منك مذودًا، وإني لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب، رفيع الصوت في العرب، جلد المريرة، جليل العشيرة، ولكنك نافرت منفَّرا".

فغضب حرب وقال: إن من انتكاس الزمان أن جعلت حكمًا."[1]

النّص الخامس: خطبة هانئ بن قبيصة الشّيباني

"قال هانئُ بنُ قَبِيْصَةَ الشَّيْبَانِيُّ يُحَرِّضُ قَوْمَهَ يوم ذي قار:

يا معشرَ بَكْرٍ، هَالِكٌ مَعْذُورٌ خيرٌ مِن نَاجٍ فَرُورٍ.

إنَّ الحَذَرَ لا يُنْجِي مِن القَدَرِ، وَإنَّ الصَّبرَ مِن أسبابِ الظَفَرِ.

المَنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ، استقبالُ الموتِ خيرٌ مِن استدبارِهِ، الطَّعْنُ في ثُغَرِ النُّحورِ أَكْرَمُ مِنه في الأعجازِ والظهورِ.

يا آلَ بكرٍ، قاتِلُوا فما للمنايا مِن بُدٍّ."[2]

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 1/273-274.
[2] **نفسه**، 1/37.

النّص السّادس: خطبة أبي طالب في زواج الرّسول –صلى الله عليه وسلّم– بالسّيّدة خديجة

"خطب أبو طالب حين زواج النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– بالسيدة خديجة فقال:

الحمدُ للهِ الذي جعلنا مِن زَرْعِ إبراهيمَ، وذريةِ إسماعيل، وجعل لنا بلدًا حرامًا، وبيتًا محجوجًا، وجعلنا الحكامَ على الناسِ.

ثم إنَّ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنَ أخي مَن لا يُوَازَنُ به فتًى مِن قريشٍ إلا رَجَحَ عليه بَرًّا، وفضلاً، وكرمًا، وعقلاً، ومجدًا، ونبلاً.

وإنْ كان في المالِ قُلٌّ؛ فإنما المالُ ظِلٌّ زائلٌ، وعاريةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ.

وله في خديجةَ بنتِ خويلدٍ رغبةٌ، ولها فيه مِثْلُ ذلك، وما أحببتم مِن الصَّداقِ فعليَّ."[1]

النّص السّابع: خطبة قس بن ساعدة الإياديّ

"خطب قُسٌّ بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ، فقال:

أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة.

إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟! أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا، يقسم قس بالله قسما لا إثم فيه إن لله دينا هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، وإنكم لتأتون من الأمر منكرا.

ويروى أن قسا أنشأ بعد ذلك يقول:

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 38/1.

في الذاهبين الأولي ن من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر

لا يرجع الماضي إليَّ ولا من الباقين غابر

أيقنت أني لا محا لة حيث صار القوم صائر"[1]

ثانيًا: نصوص الوصايا

النّص الأوّل: وصيّة أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس

"لما حملت إلى زوجها قالت لها أمها أمامة بنت الحارث:

"أي بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب، تركت لذلك منك؛ ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتها إليها، كنت أغنى الناس عنه؛ ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليكًا؛ فكوني له أمة يكن لك عبدًا وشيكًا. يا بنية: احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرًا وذكرًا، الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضوع أنفه؛ فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدو عنه عند منامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله؛ فإن الاحتفاظ بالمال

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 35/1.

حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير، ولا تفشي له سرًا، ولا تعصي له أمرًا؛ فإنك إن أفشيت سره، لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره، أو غرت صدره، ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحًا، والاكتئاب عنده إن كان فرحًا؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظامًا، يكن أشد ما يكون لك إكرامًا، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين، حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك"[1]

النص الثاني: وصية أكثم بن صيفي لطيء

"قال أكثم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طيء:

"أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، وإياكم ونكاح الحمقاء؛ فإن نكاحها غرر، وولدها ضياع. وعليكم بالخيل فأكرموها؛ فإنها حصون العرب، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها. فإن فيها الكريمة، ورقوء الدم، وبألبانها يتحف الكبير، ويغذي الصغير، ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت. ولن يهلك امرؤ عرف قدره. والعدم عدم العقل، لا عدم المال، ولرجل خير من ألف رجل. ومن عتب على الدهر طالت معتبته. ومن رضي بالقسم طابت معيشته. وآفة الرأي الهوى. والعادة أملك. والحاجة مع المحبة خير من الغض مع الغنى. والدنيا دول؛ فما كان لك أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك. والحسد داء ليس له دواء. والشماتة تعقب، ومن ير يومًا ير به. قبل الرماء تملأ الكنائن. الندامة مع السفاهة. دعامة العقل الحلم. خير الأمور مقبة الصبر. بقاء المودة عدل التعاهد. من يزر غبًا يزدد حبًّا، التغرير مفتاح البؤس. من التواني والعجز نتجت الهلكة. لكل شيء ضراوة. فضر لسانك بالخير عي الصمت أحسن من عي المنطق. الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كنيت. كثير النصح يهجم على كثير الظنة. من ألحف في المسألة

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 1/296-297.

ثقل. من سأل فوق قدره استحق الحرمان. الرفق يمن، والخرق شؤم. خير السخاء ما وافق الحاجة. خير العفو ما كان بعد القدرة"[1]

النص الثالث: وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد

"لَمَّا احْتُضِرَ ذو الإِصْبَعِ دعا ابنَه أُسَيْدًا، فقال له:

يا بُنَيَّ، إِنَّ أباكَ قد فَنِيَ وهو حَيٌّ، وعاشَ حتى سَئِمَ العيشَ، وإِنِّي مُوْصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ في قومِكَ ما بَلَغْتُهُ، فاحْفَظْ عَنِّي:

أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَومِكَ يُحِبُّوكَ، وتَوَاضَعْ لهم يَرْفَعُوكَ، وابْسُطْ لهم وَجْهَك يُطِيْعُوكَ، ولا تَسْتَأْثِرْ عليهم بِشَيءٍ يُسَوِّدُوكَ، وأَكْرِمْ صِغَارَهم كما تُكْرِمُ كِبَارَهم يُكْرِمْكَ كِبَارُهم، ويَكْبُرُ على مَوَدَّتِك صِغَارُهُم، واسْمَحْ بِمَالِكَ، وَاحْمِ حَرِيْمَكَ، وأَعْزِزْ جَارَكَ، وأَعِنْ مَن اسْتَعَانَ بكَ، وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ، وأَسْرِعِ النَّهْضَةَ في الصَّرِيخِ؛ فإِنَّ لكَ أَجَلاً لا يَعْدُوكَ، وصُنْ وَجْهَكَ عن مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُؤْدَدُكَ."[2]

النّص الرابع: وصية زهير بن جناب الكلبي

"أوصى زهيرُ بنُ جنابٍ الكلبيُّ بنيه فقال:

يا بَنِيَّ قد كَبُرَتْ سِنِّي، وَبَلَغْتُ حَرْسًا مِن دَهري، فَأَحْكَمَتْنِي التجاربُ، والأمورُ تَجْرِبَةٌ واختبارٌ، فاحفظوا عَنِّي ما أقولُ، وَعُوهُ.

إيَّاكم والخَوَرَ عندَ المصائبِ، والتواكلَ عندَ النَّوائبِ؛ فإِنَّ ذلك داعيةٌ لِلغَمّ، وشَمَاتَةٌ لِلعدوّ، وسوءٌ ظَنّ بالرَّبّ.

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 305/1-306

[2] **نفسه**، 46/1.

وإيَّاكم أَنْ تكونوا بالأحداثِ مُغْتَرِّينَ، ولها آمنينَ، ومنها سَاخرينَ؛ فإنَّه ما سَخَرَ قومٌ قطُّ إلاَّ ابتُلُوا؛ ولكنْ تَوَقَّعُوها؛ فإنما الإنسانُ في الدّنيا غَرَضٌ تَعَاوَرَهُ الرُّماةُ، فَمُقَصِّرٌ دونَه، ومُجَاوِزٌ لِمَوضِعِه، وواقِعٌ عن يَمِينِه وشَمَالِهِ، ثم لا بدَّ أنَّه مُصِيْبُهُ."[1]

النّص الخامس: وصية حصن بن حذيفة لبنيه

"أوصى حِصْنُ بنُ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرِ الفَزَارِيُّ بني بَدْرٍ فقال:

اسمعوا مِنِّي ما أُوصيكم به، لا يَتَّكِلُ آخِرُكم على أَوَّلِكم؛ فإنما يُدْرِكُ الآخِرُ ما أَدْرَكَهُ الأَوَّلُ، وأَنْكِحُوا الكُفْءَ الغَرِيبَ؛ فإنَّه عِزٌّ حَادِثٌ، وإذا حَضَرَكم أَمْرَانِ فَخُذُوا بِخيرِهما صدرًا؛ فإنَّ كُلَّ مَوْرِدٍ مَغْرُوفٌ، واصْحَبُوا قومَكم بأجملِ أَخْلاقِكم، ولا تُخَالِفُوا فيما اجْتَمَعُوا عليه؛ فإنَّ الخِلافَ يُزْرِي بالرَّئيسِ المُطَاعِ، وإذا حَادَثْتُم فارْبِعُوا، ثم قولوا الصِّدقَ؛ فإنَّه لا خيرَ في الكذبِ، وصُونُوا الخيلَ؛ فإنها حُصونُ الرِّجالِ، وأَطِيلوا الرِّماحَ فإنَّها قرونُ الخيلِ، وأَعِزُّوا الكبيرَ بالكِبَرِ؛ فإنّي بذلك كنتُ أَغْلِبُ الناسَ، ولا تَغْزُوا إلاَّ بالعيونِ، ولا تَسْرَحُوا حتى تَأْمَنُوا الصَّبَاحَ، وأَعْطُوا على حَسَبِ المالِ، وأَعْجِلُوا الضَّيفَ بالقِرَى؛ فإنَّ خيرَه أَعْجَلَهُ، واتَّقُوا فَضِيحاتِ البَغْيِ وَفَلَتَاتِ المِزَاحِ، ولا تُجِيرُوا على الملوكِ؛ فإنَّ أيديَهم أَطْولُ مِن أيْدِيكم."[2]

[1] صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة**، 289/1.
[2] **نفسه**، 129/1.

الفهارس

أولا: المصادر والمراجع

ثانيًا: الآيات القرآنية

ثالثًا: الأبيات الشّعريّة

أولا: المصادر والمراجع

***القرآن الكريم**

***الكتب**

1- ابن الأثير، ضياء الدّين، **المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر**، تحقيق: الشيخ كامل محمد عويضة، الطبعة الأولى، بيروت، 1998م.

2- الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

3- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، **الأغاني**، الطبعة الأولى، تحقيق: إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، دار صادر، بيروت، 2002م.

4- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم**، الطبعة الأولى، تحقيق: ف.كرنكو، دار الجيل، بيروت، 1991م.

5- أمين، محمد شوقي، وحجازي، مصطفى، (مجمع اللغة العربية)، **الألفاظ والأساليب**، الطبعة الأولى، القاهرة، 1976م.

6- الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.

7- البحيري، أسامة، **تيسير البلاغة علم البيان**، الطبعة الأولى، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا، مصر، 2015م.

8- البغدادي، عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

9- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، **أنساب الأشراف**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1974م.

10- الجاحظ، عمرو بن بحر، **البيان والتّبيين**، الطبعة الثّانية، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1960م.

11- الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، الطبعة الأولى، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، 1991م.

12- _____، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، د.ط، شكله وشرح غامضه وخرج شواهده ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2007م.

13- الجرجاني، علي بن عبد العزيز، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، المكتبة العصريّة، بيروت، 2006م.

14- الجمحي، ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة، د.ت.

15- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النّجار، دار الهدى للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، د.ت.

16- الجوزيّة، ابن القيم، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، الطبعة الأولى، دار المعرفة، المغرب، 1997م.

17- الحمداني، أبو فراس، **ديوان أبي فراس الحمداني**، شرح الدكتور خليل الدويهي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.

18- حمودة، طاهر سليمان، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1998م.

19- الحنفي، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين، **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.

20- خفاجي، محمد عبد المنعم، **الحياة الأدبيّة في العصر الجاهليّ**، ط2، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1958م.

21- خلوف، مصطفى شاهر، **أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز**، دار الفكر، عمان، الأردن ،2008م.

22- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، **الاشتقاق**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1991م.

23- الدّسوقي، محمد عرفة، **حاشية الدّسوقي على الشّرح الكبير**، تحقيق محمد عليش، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.ت.

24- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، دار الحديث، القاهرة، 2002.

25- _____، **المعارف**، الطبعة الثانية، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

26- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، **النكت في إعجاز القرآن**، عنى بتصحيحه الدكتور عبد العليم، مكتبة الجامعة الملكية الإسلامية، 1934م.

27- الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله، **نسب قريش**، تحقيق: ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

28- الزّركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006م.

29- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، 2002م.

30- السبكي، بهاء الدين، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 2003م.

31- السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي، **المعمرون والوصايا**، تحقيق: محمد امين الجانجي الكتبي، مطبعة السعادة، مصر، د.ت.

32- ابن السراج، محمد بن السري بن سهل، **الأصول في النحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، 1973م.

33- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1990م.

34- السّكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، **مفتاح العلوم**، الطّبعة الثّانية، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، لبنان، بيروت، 1987م.

35- الشّايب، أحمد، **الأسلوب**، الطّبعة الثّامنة، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، 1991م.

36- شوشة، فاروق، ومكي، محمود علي، **معجم مصطلحات الأدب**، تحرير ومراجعة لغوية: سميرة صادق شعلان، القاهرة، 2007م.

37- الصّعيدي، عبد المتعال، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، مكتبة الآداب، القاهرة، 1999م-2000م.

38- _____، **البلاغة العالية علم البيان**، مكتبة الآداب، القاهرة، 2000م.

39- صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، الطبعة الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1923م.

40- ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النّثر العربي**، الطبعة العاشرة، دار المعارف، القاهرة، 1960م.

41- طبانة، بدوي، **معجم البلاغة العربية**، الطبعة الثالثة، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، 1988م.

42- طبل، حسن، **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيّة**، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.

43- طليمات، غازي، والأشقر، عرفان، **الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه**، الطبعة الأولى، دار الإرشاد، حمص، 1992م.

44- ابن عاشور، محمّد الطّاهر، **تفسير التّحرير والتّنوير**، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984م.

45- عبد المطلب، محمد، **البلاغة العربية، قراءة أخرى**، الطبعة الثانية، الشركة المصرية العالمية للنشر، 2007م.

46- أبو عبيدة، محمد بن المثنى التميمي البصري، **نقائض جرير والفرزدق**، الطبعة الأولى، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، 1998م.

47- عتيق، عبد العزيز، **علم البيان**، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985م.

48- _____، **علم المعاني**، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، 2009م.

49- العسقلاني، ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **الإصابة في تمييز الصحابة**، الطبعة الأولى، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، 1994م.

50- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، **جمهرة الأمثال**، الطبعة الأولى، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه الدكتور أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988م.

51- العكلي، النمر بن تولب، **ديوان النمر بن تولب العكلي**، الطبعة الأولى، جمع وشرح وتحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، 2000م.

52- العكوك، علي بن جبلة، **ديوان علي بن جبلة العكوك**، جمع وتحقيق: زكي ذاكر العاني، مطبعة دار الساعة، 1971م.

53- العلوي، يحيى بن حمزة، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.

54- عواد، بولس، **العقد البديع في فن البديع**، د.ط، المطبعة العمومية الكاثوليكية، بيروت، 1881م.

55- عياد، شكري محمد، **اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربيّ**، الطّبعة الأولى، انترناشونال برس، مصر، 1988م.

56- ابن فارس، أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

57- فضل، صلاح، **علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته**، الطّبعة الأولى، دار الشّروق، القاهرة، 1998م.

58- _____، **نظريّة البنائيّة في النّقد الأدبي**، الطّبعة الأولى، دار الشّروق، القاهرة، 1998م.

59- الفيصل، عبد العزيز بن محمد، **الأدب العربي وتاريخه**، الطبعة الأولى، مطابع جامعة الإمام، الرياض، 1983م.

60- فيود، بسيوني عبد الفتاح، **علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان**، الطّبعة الرابعة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م.

61- قاسم، محمد أحمد، وديب، محيي الدين، **علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني**، الطبعة الأولى، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003م.

62- القرطبي، أبو عبد الله محمد، **الجامع لأحكام القرآن**، الطبعة الأولى، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 2006م.

63- القزوينيّ، جلال الدّين الخطيب، **الإيضاح في علوم البلاغة**، الطبعة الرابعة، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1998م.

64- _____، **التّلخيص في علوم البلاغة**، الطّبعة الأولى، ضبطه وشرحه: عبد الرّحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، 1904م.

65- القشيري، عبد الكريم بن هوازن، **الرسالة القشيرية**، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

66- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.

67- القيرواني، ابن رشيق، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، 1907م.

68- القيسي، نوري، والبياتي، عادي، وعبد اللطيف، مصطفى، **تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام**، ط2، جامعة بغداد، العراق، 2000م.

69- كحالة، عمر رضا، **الأدب العربي في الجاهليّة والإسلام**، مطبعة التعاونية، دمشق، 1972م.

70- اللبدي، محمد سمير نجيب، **معجم المصطلحات النحوية والصرفية**، دار الثقافة، الجزائر، د.ت.

71- الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، **موطأ مالك**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1985م.

72- محمد، إسماعيل علي، **فن الخطابة ومهارات الخطيب**، ط5، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

73- المرصفي، سيد بن علي، **رغبة الآمل من كتاب الكامل**، الطبعة الأولى، مطبعة النهضة، مصر، 1928م.

74- المسدي، عبد السّلام، **الأسلوبيّة والأسلوب**، الطّبعة الثّالثة، الدّار العربيّة للكتاب، 1982م.

75- مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها**، الطّبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2006م.

76- مناع، هاشم صالح، **النثر في العصر الجاهلي**، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م.

77- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، د.ط، د.ت.

78- الميداني، عبد الرّحمن حسن حبنكة، **البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها**، الطّبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية، بيروت ودمشق، 1996م.

79- ناصف، حفني، ومحمد، سلطان، ودياب، محمد، وطموم، مصطفى، **دروس البلاغة**، شرح محمد بن صالح العثيمين، اعتنى بها محمد بن فلاح المطيري، الطبعة الأولى، مكتبة أهل الأثر، 2004م.

80- النجار، محمد رجب، **النثر العربي القديم من الشفاهية إلى الكتابة**، ط2، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 2002م.

81- الهاشمي، أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، الطبعة الأولى، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصريّة، بيروت، 1999م.

82- الهاشمي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو، **المحبر**، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

83- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، د.ت.

84- الهنداوي، حسين علي، **أشكال الخطاب النثري الفني في العصر الجاهلي**، د.ط، مصر، 2019م.

85- وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، **معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب**، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، لبنان، بيروت، 1984م.

86- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، **تاريخ اليعقوبي**، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، 1995م.

***المجلّات العلميّة**

1) الخضر، نورة عبيد عباس، **الوصايا الاجتماعية في العصر الجاهلي: دراسة أدبية**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز القومي للبحوث، غزة، العدد الخامس، 2021م.

2) الغرايبة، علاء الدين أحمد محمد، **آليات الحجاج البلاغي لوصايا الحكماء في العصر الجاهلي: مقاربة تداولية**، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، العدد الثالث، غزة، 2019م.

3) الهيشري، الشاذلي، **الالتفات في القرآن**، حوليات الجامعة التونسية، جامعة تونس، العدد 32، 1991م.

***الرّسائل والأطروحات الجامعيّة**

1. بدوي، منال محمد كامل، **مكانة الالتفات وبلاغته على ضوء أساليب القرآن الكريم والشّعر العربي**، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإسلامية، مصر، 1984م.

2. محمد، إبراهيم نور الجليل المدني، **الجهود البلاغيّة للشّريف الرّضي من خلال كتابه المجازات البنيويّة دراسة تحليليّة**، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلاميّة، 2006م.

ثانيًا: الآيات القرآنيّة

السّورة	الآية	رقم الآية	الصّفحة
آل عمران	{وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}	140	24
الأنعام	{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}	77-76	73
الأعراف	{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}	34	70
	{لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا}	179	28
الأنفال	{فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ}	15	35
النحل	{وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}	16	45
الروم	{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون}	21	52
الزمر	أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ}	56	68
غافر	{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}	60	64

الأحقاف	{لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ}	35	43
المطففين	{كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}	14	28
البروج	{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ}	1	44
الغاشية	{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ20) }	20–17	48

ثالثًا: الأبيات الشّعريّة

الرويّ	البيت	البحر	الشّاعر	الصّفحة
الدال	ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد	الكامل	علي بن جبلة العكوك	18
الرّاء	في الذّاهبين الأوّلين من القرون لنا بصائر لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر لا يرجع الماضي إليّ ولا من الباقين غابر أيقنتُ أنّي لا محا لة حيث صار القوم صائر	مجزوء الكامل	قس بن ساعدة	46
	فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرّ	المتقارب	النّمر بن تولب العكلي	24

الياء	عَرَفتُ الشَرَّ لا لِلشَر رِ لَكِن لِتَوَقّيهِ وَمَن لَم يَعرِفِ الشَرَّ مِنَ الخَيرِ يَقَع فيهِ	الهزج	أبو فراس الحمداني	19

Hebron university

Deanship of postgraduate Studies

The Arabic language and literature program

Examples of speeches and commandments in the pre-Islamic era

(a rhetorical analytical study)

Prepare

Samah Muhammad Sameer Al-Jubeh

Supervision

Dr. Bassam Abd Alafou Al Qawasmy

This letter was presented to complete the requirements for obtaining a master's degree in Arabic language and literature at the Deanship of postgraduate studies at Hebron university

2021-2022